مخطوطات صوفية

(١)

المقدمة في التصوف وحقيقته

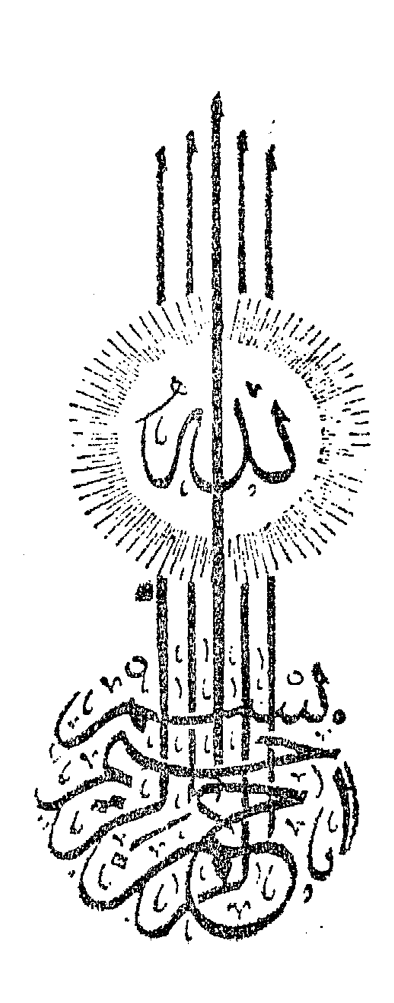
للإمام أبي عبد الرحمن محمد بن أحمد بن الحسين السلمي النيسابوري ثم البغدادي المتوفى سنة ٤١٢

تحقيق وتقديم

يوسف زيدان

الناشر

مكتبة الكليات الأزهرية


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيـــــد :

فى الأيام الحاضرة ، نجد اضـــطرابا عظيماً فى قيمنا الخلقيــة ونوعا من الانفصامية والتشتت فى سلوكياتنا العملية •• بين ما نريده فى داخلنا ، وبين ما نفعله فى الواقع ••

وترجع أسباب هذه الحالة التى نعــانى اليوم منهــا ، الى أن (أخلاق الريف) التى ظلت ردحا من الزمن توجه سلوكنا ومنهجنــا الخلقى قد انحسرت ، عندما حوصرت بنمط آخر من الأخلاق التى فرضها واقع العصر •• وتلك الأخلاق الجديدة ـــ التى سادت وتملكت مؤخرا ، هى : أخلاق الزحام !

وهكذا ، كان لابد من هذا التحول الاضطرارى الذى أحدث فينا الاضطراب الخلقى والانفصامية الاجتماعية ! ومن الثابت والبديهى ، أن هذا (التحول) الخلقى المفاجىء كان نتيجة لسرعة ايقاع التقدم المادى واللهاث التكنولوجى •• حيث العبرة بالانتاج (الكمى) وحيث يسأل الناس عن الثمن ، وليس عن القيمة •

وهنا ، فى لحظة التحول الفجائى هذه ، لا يمتلك المرء نفسه كيما يقف فى مواجهتهـــا ليســـأل : ماذا أفعل ؟ والى ماذا يمكن أن ينتهى السعى ؟ ! الى آخــر مثل هذه التســاؤلات التى لاتكون الا فى (وقفة) لا نجد سبيلا اليها فى غمرة الاندفاع المتهوس ، نحو مايظن كل واحد منا أنه غايته من الوجود ••

وحدث أن ساد الاعتقاد بأنه طالما نأخذ من الغرب (الآلة) فانه ينبغى أن نأخذ منه أيضا •• الأخلاق ، ومن ثم فقد ذهب بعض مفكرينا

(الكبار) ليتتبعوا أثر المذاهب والفلسفات الخلقية فى العالم الغربى، فقدموا لنا الكثير من أنماط الأخلاق العملية البرجماتيـــة ، والأخلاق النفعية ، الى جانب الفلسفات القـــائمة على أفكار الحرية الفردية الشخصانية ، والاختيار ، وتحقيق الذات فى مواجهـة الآخرين وفى مواجهة (المكون الغامض المضطرب) •• وقدمت هذه الافكار الينــا فى شكل يليق بها من العنــــاية والدعاية (الاعلاميــة) بدعوى التثقيف العام ، وبدعوى مســايرة الاتجــاهات الفكرية فى العــالم المتحضر الماسك بزمام الفكر والتقدم الصناعى •• وكان من الغريب ألا نلاحظ أن (الأخلاق) هى مظهر انسانى ، غير مجد أن نبحث عنه فى فلسفات الحضارة الغربية اللاإنسانية •• حضارة الأسفلت !-

وكان من الغريب أيضـــا ، ألا تلتفت أنظارنا فى تلك (الأخلاقيـــة) نحو التراث ، لعلنا نهتدى الى المنهج الأخلاقى النــافع ، ولعلنـــا نقع على رؤية (للقيم) تتناسب مع التــكوين النفسى والدينى الخاص بنا ، بوصفنا ورثة حضارة •••• وشرقيين •

•• وبعد

فهذا الكتاب الذى بين أيدينا ، يقدم لنا شكلا من أشكال السلوك الاسلامى ، ومجموعة من المبادىء الخلقية عند الصوفية المسلمين •• مع ملاحظة أن كلمـــة (صوفية) لا تشـــير اطلاقا الى تلك الشرذمة من الدراويش المنحرفين الذين يحتشدون فى ساحات المساجد العتيقة كل عام ، ولا هم لهم غير التهوس والتبطل والرقص والانشاد •

إن كلمة (صوفية) تعنى فى حقيقتها ، جماعة من الرجال الذين لم يلتفتوا الى مظاهر الحياة الفانية ، واتخذوا لأنفسهم مذهبا تقـــوم

أساسياته على قيم اسلامية نقية ، وفكر روحى عميق ، وفلسفة انسانية عظيمة ؟

ومجموعة المبادىء والقيم الخلقية التى نقدمها اليــوم من خلال هذا الكتاب الذى ألفه أبو عبد الرحمن السلمى ، ليست مشروعا لاقامة منهج خلقى ، بقدر ما هى (وقفات قصار) أمام بعض القيم الاسلامية والمعانى الصوفية ، كالمحبة والشفقة والسخاء .. الخ ، وهى موضوعات كادت أن تنسينا اياها أخلاق الزحام !!

.. ويجدر بنا أن نتوقف قليلا عند مؤلف الكتاب

ـ السـلمى .

تتفق المصادر على أن اسمه هو (أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين ابن موسى السلمى النيسابورى) ولد بنيسابور فى جمادى الآخرة ، سنة خمس وعشرين وثلاثمائة من الهجرة (= ٩٣٦ ميلادية).. ويقال انه ولد سنة ٣٣٠ هجرية (= ٩٤١ ميلادية)(١) وتقول المصادر ان والده كان من الزهاد ، وانه كان — مع فقره — صوفياً ذا مكانة مرموقة ، وكانت والدته سيدة فاضلة من المسلمات المؤمنات . وقد نشأ السلمى بين والديه نشأة اسلامية ، ولقى تربية علمية من صغره فسمع الحديث النبوى فى سن مبكرة من أبى بكر الصبغى .

ثم رحل السلمى من بلاده لطلب العلم ، فذهب الى العراق والحجاز حيث التقى بكبار المحدثين وأعلام التصوف والتفسير آنذاك، فأخذ من علومهم ، وتتلمذ على الكثيرين منهم .. فمن شيوخه الدارقطنى والابزارى والنصراباذى وأبو نصر السرّاج ، ومنهم أيضا أبو عمرو ابن نجيد وأبو سعيد النفعى والطرائفى والنيسابورى وغيرهم ، وهؤلاء جمعيا من أئمة الحديث والتفسير والتصوف وعلم طبقات الرجال ..

---

(١) توجد للسلمى ترجمات عديدة فى كتب الطبقات والاعلام ، انظر :

طبقات الشافعية للسبكى (ج ٢/ ص ٦٠ ، ٦١) مرآة الجنان لليافعى (٢٦/٢) نفحات الانس لعبد الرحمن جامى (ص ٣٥٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (٢٤٨/٢) المنتظم لابن الجوزى (٦/٨) ميزان الاعتدال للذهبى (٤٦/٣ ، ٤٧) طبقات الحفاظ للذهبى (٣٤٨/٣) دول الاسلام للذهبى (١٧٩/١) الوافى بالوفيات للصفدى (٣٨٠/٢ ، ٣٨١) لسان الميزان لابن حجر (١٤٠/٥ ، ١٤١) البداية والنهاية لابن كثير (١٢/١٢ ، ١٣) شذرات الذهب لابن العماد (١٧٦/٣) .

وكانت لأبى عبدالرحمن السّلمى عناية خاصة بالتصوف والمتصوفة. فنجد أبا نعيم الأصفهانى يقول عنه (هو أحد من لقيناه ممن له العناية التامة بتوطئة مذهب المتصوفة ، وتهذيبه على ما بينه الأوائل من السلف ، مقتد بسيمهم ، ملازم لطريقتهم متبع لآثارهم ، مفارق لما يؤثر عن المنحرفين المتهوسين من رجال هذه الطائفة ، منكر عليهم ...) ولعل شهرة السلمى قد قامت فى الأصل على واحد من كتبه فى التصوف، هو كتابه (طبقات الصوفية) الذى يعد أشهر كتب السّلمى على الاطلاق.

كذلك فقد شغف السّلمى بفنون المعارف الاسلامية الأخرى ، وترك لنا العديد من المؤلفات فى التفسير والحديث والآداب والمعاملات ، الى جانب مؤلفاته فى طبقات الرجال وفى التاريخ .. وقد تتلمذ على يد السلمى الكثيرون من رجال الفكر الاسلامى ، ممن تلقوا عنه ، واستفادوا من مؤلفاته، كالبيهقى والقشيرى والخطيب البغدادى ، والجوينى والواسطى وغيرهم الكثير ..

وكانت وفاة السّلمى فى شهر شعبان سنة ٤١٢ هجرية (نوفمبر ١٠٣١ ميلادية) ودفن فى خانقاه بناه فى نيسابور .

مؤلفاته :

لأبى عبد الرحمن السّلمى قائمة طويلة من الكتب والرسائل التى ألفها فى موضوعات اسلامية متنوعة . وان كانت غالبية مؤلفاته قد تركزت حول النواحى الصوفية والأخلاقية فى الاسلام ..

ومن المؤسف أن تظل غالبية مؤلفات السّلمى تراثا مخطوطا، تتوزع نسخه الخطية بين مكتبات الشرق والمغرب ، عرضة للتلف والضياع والتآكل فى المكتبات الكبرى وخزانات المخطوطات ... ولم ينشر من

مؤلفات السلمى حتى يومنا هذا سوى أقل القليل !! وهذه المؤلفات هى:

(١) طبقات الصوفية (طبع عدة مرات)
(٢) رسالة الملامتية (نشرها الدكتور أبو العلا عفيفى فى كتابه : الملامتية وأهل الفتوة)
(٣) حقائق التفسير (مخطوط)
(٤) مناهج العارفين (مخطوط)
(٥) عيوب النفس ومداراتها (مخطوط)
(٦) آداب التعازى (مخطوط)
(٧) آداب الفقر وشرائطه (مخطوط)
(٨) آداب الصحبة وحسن العشرة (مخطوط)
(٩) آداب الصوفية (مخطوط)
(١٠) غلطات الصوفية (مخطوط)
(١١) محن الصوفية (مخطوط)
(١٢) الأربعون فى أخلاق الصوفية (مخطوط)
(١٣) سنن الصوفية (مخطوط)
(١٤) الأخوة والأخوات من الصوفية (مخطوط)
(١٥) درجات المعاملات ، شرح لمصطلحات الصوفية (مخطوط)
(١٦) بيان أحوال الصوفية (مخطوط)
(١٧) تاريخ الصوفية (مخطوط)
(١٨) تاريخ أهل الصفة (مخطوط)
(١٩) مقامات الأولياء (مخطوط)
(٢٠) الفتـــوة (مخطوط)
(٢١) الزهـــد (مخطوط)

(٢٢) السمـــاع (مخطوط)
(٢٣) سلوك العارفين (مخطوط)
(٢٤) بيان زلل الفقراء ومناقب آدابهم ؟ (مخطوط)
(٢٥) الفرق بين علم الشريعة وعلم الحقيقة (مخطوط)
(٢٦) أمثـال القرآن (مخطوط)
(٢٧) تهذيب الناسخ والمنسوخ فى القرآن ، لابن الشهاب الزهرى (مخطوط)
(٢٨) الأربعون فى الحديث (مخطوط)
(٢٩) سؤالات الدارقطنى (مخطوط)
(٣٠) الاستشهادات (مخطوط)
(٣١) مسائل وردت من مكة (مخطوط)
(٣٢) الرد على أهل الكلام (مخطوط)
(٣٣) درجات الصادقين (مخطوط)
(٣٤) حديث السلمى (مخطوط)
(٣٥) وصيـــة (مخطوط)

والى جانب هذه القائمة من المؤلفات (١) ، يوجد للسلمى هـــذا الكتاب الذى نقدمه اليوم ، وهو : المقدمة فى التصوف وحقيقته ..

---

(١) انظر ما ذكر عن مؤلفات السلمى فى :
- كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ، الجزء الرابع (ترجمة د/ السيد يعقوب بكر ـ دار المعارف) ص ٨٥ .
- فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربى (الهيئة المصرية العـامة للكتاب) الجزء الثانى ، ص ٤٩٧ .
- مقدمة (طبقات الصوفية) للسـلمى ، بعنـاية أحمد الشرباصى (كتاب الشعب) ص ٤ .

المقدمة فى التصوف :

لا يوجد شك فى نسبة كتاب (المقدمة فى التصوف) لأبى عبد الرحمن السلمى ، فقد ذكرته معظم المراجع القديمة والحديثة ، رغم أن السنين لم تحفظ لنا من هذا الكتاب غير نسخة خطيــة وحيــدة .. هى التى اعتمدنا عليها اليوم فى تحقيقه .

ويتفق أسلوب السّلمى فى (المقدمة) مع أسلوبه فى كتاباته الأخرى، فهو عادة ما يقسم موضوعاته الى أبواب ، ثم يورد فى كل باب أقوال الصوفيــة السابقين عليــه ، ذاكرا الآيات القرآنيـــة والأحاديث النبوية التى لها علاقة بتلك النقطة التى يدور حولها الباب .

وموضوع المقدمة هو الفضائل الاسلامية كما تناولهـا صوفيــة الاسلام ، جاعلين منها منهجا خلقيا لهم وقد جعل السّلمى من كل معنى من المعانى الأخلاقية عند الصوفية بابا فى مقدمته ، وبذلك تناول عددا كبيرا من الفضائل الخلقية عند صوفية الاسلام ، من خلال مقدمته ذات الأربعة عشر بابا .

وأول أبواب المقدمة فى موضوع (صحبة الصوفية) وذلك من حيث الأهمية والأثر البالغ (للصحبة) فى سلوك الانسان .. وقد ركز الصوفية على تلك الناحية ، واهتموا بعلاقة الصوفى بأصحابه ، وسوف نرى أن الصوفى يسمى أصحابه (الأخوان) وأن أهل التصوف يرفعون من شأن هذه الأخوة الروحية الى درجة عالية تفوق الأخوة فى الدم .. وكيف لا تفوقها، وهى أخوة فى الله !

أما الباب الثانى ، فموضوعه : المحبة .. وحديث الحب والمحبة عند صوفية الاسلام يطول ويتسع ، نظرا لاتساع بحار العشق التى

تستغرق (السالك) فى محبة الذات الالهية. الا أن الصوفية آثروا وضع كلامهم فى المحبة فى كلمات ذوقية وعبارات رمزية ، حتى لا يتهمهم الجهلة بالتجديف .. ومن هنا كان علينا أن ننظر فى كلمات الحب الصوفى ، بعين القلب !

وفى الباب الثالث يحدثنا السلمى عن (المعرفة) بالمعنى الصوفى ، وسوف نرى أن الصوفية يسعون الى ادراك لون من المعرفة الاشراقية اللدنية ، هى فيض نورانى يتجلى الله به على عباده العارفين . وهذه المعرفة اللدنية تختلف فى معناها الصوفى عن (العلم) بالمعنى الظاهرى الذى نفهمه الآن .

وبعد (المعرفة) يحدثنا السلمى عن (التوكل) فى المفهوم الاسلامى الصحيح ، وكما عرفه الصوفية .. بعيدا عن التواكل وترك الكسب والتبطل ، وقريب الصلة بالثقة فى الله ، وزهد المظاهر الفانية .. فالتوكل بهذا المعنى هو اسقاط للتدبير مع المولى عز وجل . وفى النهاية يتحدث السلمى عن صفة المتوكل ، وثواب توكل الكفاية .

ثم يتناول السلمى موضوع (الفتوة) حيث تجتمع مكارم الأخلاق الاسلامية كالأمانة والنجدة والعفو ، وغير هذه السمات الخلقية التى تواضع عليها المسلمون الأوائل ، ثم تلقاها الصوفية وركزوا على جانبها الروحى العميق ..

وهكذا يستمر السلمى ، فيحدثنا عن السخاء ، والشفقة ، والتواضع .. وهى سمات خلقية كدنا أن ننساها فى غمرة اندفاعاتنا الآلية وراء كل ما هو مادى .. واعتقدنا أن التنافس والتفوق الفردى والأنانية — وغير ذلك من أخلاقيات الزحام — هو الاسلوب الذى

يلائم طبيعة واقعنا •• ولم ننتبه الى أننا نصنع هذا الواقع ، وليس هو الذى يصنعنا !

والباب الأخير من مقدمة أبى عبد الرحمن السّلمى بعنوان : شرائط التصوف • وهذا الباب فى جملته ، محاولة لاظهار التصوف الاسلامى على حقيقته ، من خلال ما كان عليه أوائل الصوفية •• وكأن السلمى قــد شعر ــ منذ ذلك الوقت المبكر ــ بخطر أولئك المنحرفين ، الذين يلبسون رداء التصوف ، ويخفون تحته ما يســتوجب الاخفــاء من نقائض !!

وكتاب (المقدّمة فى التصوّف) على هذا النحــو السابق ، يعتبر واحداً من أهم كتب التراث التى عنيت باظهــار التصوف الاسلامى فىصورته الحقيقية ، المستمدة من الكتاب والســنة • والى جانب تلك الصورة التى قدمها لنا السلمى للتصوف فىهذا الكتاب ، قدملنا السّلمى الكثير من رجال التصوف الاسلامى فى تلك المرحلة المبكرة من تاريخ التصــوف •• وذلك حين عرض للمعانى الصوفيــة من خلال أقوال ومواقف هؤلاء الصوفيــة الأوائل ، الذين لا نعرف الكثير عنهـــم اليوم ••

وتبقى لنــا نقطة أخيرة يجدر أن نشــير اليها ، وهى أن الأقوال والعبارات التى ذكرها السلمى لرجــال التصــوف ، لم تكن مجــرد عبارات بليغة أو مقطوعات شعريــة منمقــة ، بل كانت كلمـــات مشايخ الصوفية ترجمة صادقة لأحوالهم مع الله عز وجل ، وتصوير صادق لسلوكهم الأخلاقى والروحى القائم على فهم صحيح للمبادىء والقيم الاسلامية ، وسوف نرى أمثلة لذلك فى (المقدمة) فنجد صوفياً كأبى بكر الجريرى ، يستحى أن يكلم مريديه عن التوكل ، وفى بيتــه بعض المال ••

وهكذا ، كانت كلمات مشايخ الصوفية ، تصدر عن قلوب يملؤها الايمان العميق والعمل الصالح ، ولهذا بقيت كلماتهم الذوقية وإرشاداتهم الشوقية فى وجدان من أتوا بعدهم ، كعلامات لهذا الطريق الروحى ، ووصايا للمريد الصادق الذى يضع أقدامه على أول سلم المعراج الصوفى •• وكان أبو حامد الغزالى قد لاحظ من قبل فى كتابه (المنقذ من الضلال) أن الصوفية يعولون على العمل الصادق وطهارة الباطن ، وليس على القول البليغ والكلمات المأثورة، ومن هنا قال الغزالى : الصوفية أرباب أحوال لا أصحاب اقوال •.

وعلى الرغم من أهمية كتاب (المقدمة فى التصوف) فقد ظل هذا الكاب ضمن تراثنا المخطوط مهدد بالفقد والضياع بفعل الزمن وعوامل التلف التى عرفت طريقها الى أصله المخطوط •

الأصل المخطوط :

لا يوجد الكتاب (المقدمة) غير أصل خطى واحد ، وقد حاولنا العثور على أية نسخ خطية أخرى لمقابلتها بهذا الأصل الذى تحت أيدينا فلم نجد(١) •

ويوجد هذا الأصل المخطوط بمكتبة البلدية بالاسكندرية تحت رقم (٢٨٢٣/د ـ تصوف) ويتألف المخطوط من ٣٤ صفحة

---

(١) عادة ما توجد عدة نسخ خطية للكتاب الواحد . وهذه النسخ الخطية قد يكون المؤلف الأصلى قد كتبها بيده ، أو أملاها على تلامذته ، ثم تناقلها النساخ بعد وفاته .. ويكون الأصل الذى خطه المؤلف بيده هو أعلى النسخ الخطية قيمة . فان لم يكن هناك هذا الأصل ، فان أعلى النسخ الخطية قيمة يكون أقربها الى عصر المؤلف .

(مقاس ٢٠ × ١٥) تحتوى الصفحة الواحدة على ٢١ سطر تقريبا (السطر حوالى ١٠ كلمات) مع وجود هامش مناسب •

وحالة المخطوط جيدة ، والورق سميك أصفر ، كتب عليه الناسخ بخط عادى — مقروء فى أغلب المواضع — وقلم النسخ سميك •• وتوجد على صفحات المخطوط بعض البقع السوداء ، كما توجد ورقة ساقطة بعد الصفحة الثانية ! وفيما عدا ذلك ، لا توجد عبارات أو كلمات ساقطة فى سائر صفحات المخطوط ، إذ يبدو أن الناسخ كان دقيقا فى الكتابة •

وقد كتب الناسخ بحبر أسود فى سطور متوازية ، مع وضع بعض العلامات بالحبر الاحمر للتوضيح ، وعلى الورقة الأولى كتب بخط جميل :

« كتاب المقدمة فى التصوف وحقيقته للامام أبى عبد الرحمن »
« محمد بن أحمد بن الحسين السلمى ثم البغدادى رحمه »
« الله هو أحد أئمة الصوفية توفى سنة اثنتى عشرة وأربعمائة »

وتحمل الورقة الأولى ختم : كتبخانة مجلس بلدى اسكندرية (انظر الصورة فيما يلى) وعلى الورقة الأخيرة كتب تاريخ النسخ (عصر يوم الخميس المبارك ، سادس شهر رمضان المعظم قدره ، سنة اثنتين وألف من الهجرة) •• وفى أسفل الصفحة ، يوجد ختم كتبخانة مجلس بلدى اسكندرية •

وقد حاولنا اصلاح الخلل فى المخطوط عند تحقيقه ، وذلك بتصحيح الأخطاء النحوية والاملائية التى وقع فيها الناسخ — بقصد أو بدون قصد — مع الاشارة الى الخطأ الموجود فى المخطوط فى هامش

التحقيق — ووضع الكلمة الصحيحة فى المتن .. وفى الهامش أيضا ، وضعنا بعض التعريفات الخاصة بالمصطلحات الصوفية التى وردت فى فى الكتاب ، حتى يتيسر فهمها ، والاقتراب من المعنى الذى يرمى اليه الصوفية ، هذا الى جانب بعض التعليقات والملاحظات النقدية ، كلما كان هناك داع لذلك ..

ومن الاضافات التى تمت أثناء تحقيق الكتاب ، وضع ترجمة للشخصيات الصوفية التى يذكرها السّلمى أو يستشهد بأقوالها ، خاصة وأن معظم تلك الشخصيات غير معروفة لنا فى الوقت الحاضر .. وقد رجعنا فى تقديم تلك الترجمات الى كتب الطبقات ومشاهير الصوفية .

هذا الى جانب تخريج الآيات والأحاديث الواردة فى الكتاب ، مع عمل فهارس لهذه الآيات والأحاديث ، وللمصطلحات الصوفية التى وردت فيه ، وأيضا فهرسا بأسماء الأعلام وفهرسا آخر للترجمات الموجودة فى هوامش التحقيق ..

* * *

ونود فى النهاية ، أن نورد بعض الملاحظات التى استرعت الانتباه أثناء التحقيق والمراجعة ، مع مراعاة انها لا تعدو كونها ملاحظات خاصة ، قد يقبلها البعض ولا يقبلها البعض الآخر .. ومن هذه الملاحظات :

١ — إن السلمى يحاول فى مقدمته إرساء دعائم التصوف الاسلامى على قاعدة الكتاب والسنة ، وذلك بمحاولته البحث عن الآيات والأحاديث التى تؤيد المعانى الذى قال بها الصوفية ، ثم بعد ذلك يورد من كلام الصوفية مايستقيم مع معنى الآية أو الحديث، وبذلك يصبح «الكتاب والسنة» هما المصدر الذى استقى منه الصوفية فكرهم وسلوكهم الخلقى والروحى .. وهذه المحاولة

التى قام بها السلمى تعتبر منهجا سليما فى دراسة التصوف الاسلامى ، الا ان ذلك من ناحية أخرى — قد دفعه لاستبعاد بعض رجال التصوف الاسلامى ، ممن يتميزون بالنزعة الفلسفية كالحسين بن منصور الحلاج !

٢ — ان السلمى قد أورد فى مقدمته بعض أقوال أصحاب الاتجاهات الأخرى فى الفكر الاسلامى ، كالمعتزلة وكان الأحرى به أن يقتصر على رجال التصوف ، خاصة وإن كتابه (مقدمة فى التصوف) •

٣ — أن السلمى لم يتعرض لواحد من أهم الموضوعات الصوفية التى نشأت فى تلك المرحلة الهامة من مراحل التصوف ، وهو موضوع (الأحوال والمقامات) والذى يشكل الأساس الذى قام عليه الفكر الصوفى كله فى المراحل التالية •

٤ — إن وجود أصل خطى وحيد لكتاب (المقدمة) يعنى أن هذا الكتاب قد نال حظا من الاهمال والنسيان بعد وفاة السلمى ، على الرغم من أنه واحد من أهم المراجع الصوفية التى تعرضت لحقائق التصوف ولأعلامه البارزين •

وبعد •••

فقد حاولنا تقديم كتاب (المقدمة فى التصوف) فى شكل يليق به من التحقيق والعناية ، لعل هذا الكتاب يساعدنا فى تكوين صورة حقيقية للتصوف الاسلامى القائم على كتاب الله وسنة رسوله •• ولعل الكلمات التى قالها صوفية المسلمين تجد فى الوقت الحاضر من يلقى السمع وهو شهيد !

والله الموفق ••

يوسف زيدان

الاسكندرية فى نوفمبر ١٩٨٦

كتاب
المقدمة في التصوف
وحقيقته
للإمام أبي عبد الرحمن محمد بن احمد بن
الحسين السلمي النيسابوري
ثم البغدادي
رحمه الله
هو احد ائمة الصوفية توفي سنة اثنتي عشرة
واربعمائة

الأصل المخطوط
(مخطوط رقم ٢٨٢٢/د — تصوف ، اسكندرية)
الورقة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين
والصلاة والتسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين
باب صحبة الصوفية قال محمد بن احمد البغدادي من صحب
الصوفية فليصاحبهم بلا نفس ولا قلب ولا ملك فمتى نظر الى شيء من
اسبابه قطعه ذلك عن بلوغ قصده وقال ابراهيم بصحبة الفقرا
العارفين يصل العبد الى مقام العارفين حكي عن احمد بن
عبد الله الشرويني ان ابا بكر بن دانيال الارموي راه في النوم
فقال اي الاعمال وجدته انفع فقال ما وجدت بعد التوحيد
انفع من صحبة الفقرا قلت فاي الاعمال اضر فقال الوقوع في الصوفية
ولولا انهم استوهبوني لكنت من الهالكين وكاد ان يحبط عملي كلامي
فيهم بنقص معرفتهم بكون وحكي عن ابراهيم بن شيبان قال
كنا لا نصحب من يقول نعلي وركوتي وقال ابو احمد القلانسي استاد
الجنيد دخلت على قوم من الفقرا بالبصرة فاكرموني وبجلوني فقلت
يوما اين ازاري فسقطت من اعينهم قال ابراهيم بن المولد
دخلت طرسوس فقيل لي ان جماعة من اخوانك مجتمعين في دار
فدخلت عليهم فرايت سبعة عشر فقيرا كلهم على قلب واحد وقال
ابو سعيد الخراز صحبت الصوفية خمسين سنة فما وقع بيني وبينهم
خلاف قيل ولم ذلك قال لاني كنت على نفسي وقال ذو النون
لا تصحب مع الله الا بالموافقة ولا مع الخلق الا بالمناصحة ولا مع
النفس الا بالمخالفة ولا مع الشيطان الا بالمحاربة وكان مراعاة

الأصل المخطوط
الورقة الثانية ـــ الصفحة الأولى

المقدمة فى التصوف
وحقيقته

بسم الله الرحمن الرحيم

•• وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله ، والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان الا على الظالمين • والصـلاة والتسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين •

باب : صحبة الصوفية :

قال محمد بن أحمد البغدادى(١) : من صحب الصوفية ، فليصحبهم بلا نَفْس ولا قلب ولا ملك ، فمن نظر إلى شيء من أسبابه(٢) ، قطعه ذلك عن بلوغ قصده •• وقال إبراهيم(٣) : بصحبة الفقراء العارفين ، يصل العبد الى مقام العارفين ! حكى عن أحمد بن عبد الله الشرويني ، أن أبا بكر بن دانيال الأرموني رآه فى النوم فقال (له)(٤) أى الأعمال وجدته أنفع ؟ فقال : ما وجدت بعد التوحيد ، أنفع من صحبه الفقراء ! قال (٥) : فأى الأعمال أضر ؟ فقال : الوقوع فى الصوفية ، ولولا أنهم

---

(١) لعل السلمى يقصد رويم بن محمد بن أحمد البغدادى ، المعروف برويم البغدادى ، وهو واحد من كبار الصوفية .. انظر ما سنقوله عنه فيما يلى !

(٢) يقصد : شيء من حظوظ نفسه ومطالبها ..

(٣) هو شيخ الصوفية ، أبو اسحاق ابراهيم بن أدهم . ولد بمدينة بلخ بخراسان ، وكان من أبناء الأمراء ، وتحكى كتب الطبقات ، انه خرج فى شبابه للصيد مع أقرانه ، فنـاداه هاتف خفى : يا ابراهيم ، الهــذا خلقت....! وقد سلك ابراهيم بن أدهم طريق الصوفية بعد سماعة لهذا الهاتف ، فخرج الى مكة وصحب سفيان الثورى والفضيل بن عياض ، ثم دخل الشام وظل بها حتى توفى سنة ١٦٢ هجرية .

(٤) غير موجودة فى الأصل !

(٥) فى الأصل : قلت .

استوهبونى ، لكنت من الهالكين ، وكاد أن يحبط عملى كلامى فيهم ، فبفضل معرفهتم نجوت .

وحكى عن ابراهيم بن شيبان(١) ، قال : كنـا لا نصحب من يقول نعلى وركوتى(٢) ! وقال أبو أحمد القلانسى ، أستاذ الجنيد(٣) : دخلت على قوم من الفقراء بالبصرة ، فأكرمونى وبجلونى ، فقلت يوما: أين إزارى ، فسقطت من أعينهم !

قال ابراهيم بن المولد (٤) : دخلت طرطوس(٥) ، فقيل لى ان جماعة مجتمعين فى دار ، فدخلت عليهـم ، فرأيت سبعة عشر فقيرا ، كلهم على قلب واحد .

---

(١) هو أبو اسحاق ابراهيم بن شيبان القرميسينى : الملقب بشـيخ الجبل . كان من كبار الصوفية الزاهدين — ومن أشدهم على المدعين ، صحب أبا عبد الله المغربى وابراهيم الخواص ، وكانت له كرامات كثيرة.

(٢) الركوة (فى لسان العرب) هى اناء صغير من الجلد يشرب فيـه الماء .

(٣) هو شيخ طائفة الصوفية ، أبو القاسم الجنيد بن محمـد الخزاز البغدادى . أصله من نهاوند ، ومولده ونشأته بالعراق ، وكان فقيهـا على مذهب أبى ثور ، وصوفيا من المتمسكين بالكتاب والسـنة ، صحب السرى السقطى والحارث المحاسبى وغيرهم .. وتوفى الجنيد فى يوم نيروز الخليفة ، سنة ٢٩٧ هجرية .

(٤) هو أبو اسحاق ابراهيم بن احمد المولد ، من كبار مشايخ الرقة. أسند الحديث النبوى الشريف وكان من أفتى المشايخ وأكثرهم علمـا .. ومن أصحابه أبو عبد الله الجلاء الدمشقى ، وابراهيم القصار الرقى .

(٥) ثغر من الثغور اسلامية ، مصرت بأمر الرشيد سنة ١٩١ هجرية، وكانت قبل ذلك من معسكرات غزو بلاد الروم .

وقال أبو سعيد الخراز(١) : صحبت الصوفيـة خمسين سنة ، فما وقع بيني وبينهم خلاف ، قيل : ولم ذلك ؟ قال : لأني كنت على نفسي ! (٢) .

وقال ذو النون(٣) لا تصحب مع الله إلا بالموافقة ، ولا مع الخلق الا بالمناصحة ، ولا مع النفس الا بالمخالفة ، ولا مع الشيطان الا بالمحاربة ..

باب : المحبة (٤)

قال أبو القاسم النصراباذي (٥) : المحبة والمحنة نقتطان

---

(١) هو أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز البغدادي : من أوائل الصوفية وأئمتهم ، وقيل انه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء ، وصحب المسلمين ، من أمثال ذوالنون المصري والسري السقطي وبشر بن الحارث الحافي ، وتوفي سنة ٢٧٩ هجرية .

(٢) يقصد الخراز انه كان منشغلا بعيوب نفسه ، ومن ينشغل بعيوب نفسه لا ينظر الى عيوب غيره من الناس .

(٣) هو ذو النون أبو الفيض ثوبان بن ابراهيم المصري الاخميمي ، ولد بالنوبة ، وكان أبوه ابراهيم نوبيا .. وذو النون المصري من أشهر الصوفية المسلمين ، وقيل أنه أول من تكلم في الأحوال والمقامات . وكان ذو النون عالما ومحدثا الى جانب كونه من رجال الطبقة الأولى في التصوف، ومن أقواله : كان الرجل من أهل العلم يزداد بعلمه بغضا للدنيا وتركا لها — واليوم يزداد الرجل بعلمه حبا للدنيا وطلبا لها ! كان الرجل ينفق ماله على علمه — واليوم يتكسب الرجل — بعلمه مالا ..

وتوفي ذو النون المصري سنة ٢٤٥ هجرية .

(٤) عنوان الباب ساقط في الأصل !

(٥) هو أبوالقاسم ابراهيم بن محمد بن محمويه النصراباذي ، شيخ خراسان في وقته نيسابوري الأصل والمولد والمنشأ . كان على دراية بعلم التاريخ والسير ، الى جانب ما كان مختصا به من علم الحقائق ، فكان أوحد المشايخ في وقته علما وحالا .. وتوفي ٣٦٧ هجرية .

مقرونتان ، ما المحنة بعين المحنة وعين المحبة ! فينبغى للمحب أن ينظر إلى المحنة بعين المحبة ، حتى تصح له المحبة(١) .

أنشدت لبعضهم قوله :

بينَ المحبين سر ليس يفشيه
قولٌ ولا قلمٌ للخلقِ يحكيهِ

الحب حرفان ، حاء وباء .. والحـاء آخر الحروف من الروح ، والبـاء أول الحروف من البـدن ، والمحب (٢) يكون روحا بلا بدن ، وبدن بلا روح ! ولكل شىء عبارة ، إلا المحبة ، فانها لا عبارة لهـا ، وهى ألطف وأجل من أن تدخل فى العبارة . ولذلك خلق الله تعـالى الملائكة للخدمة ، والجن للقدرة ، والشياطين للعنة ، وخلق العـارفين للمحبة ، فالمحبة نار حطبها أكباد المحبين .. والخوف(٣) نار ، والحب نور ، ولا تكون أبدا نار بلا نور (٤) .

وقال الجنيد : رأيت صبيا يضرب شيخا ، والشيخ يضحك ! فقلت له : لم تضحك ؟ قال : كيف لا أضحك ويده روحى ، وسوطه قلبى ، وعيشه عيشى ، فكيف أشكو (٥) من نفسى لنفسى !

---

(١) يقول الحلاج فى هذا المعنى : رأيت المحبة ، حبة نصبت على جمالية المحبوب فطارت اليها عصافير القلوب ، فلما سـقطوا ليلتقطوا ، انقلبت عليهم حبة الفخ فاحتبطوا فحدقوا الى حقيقة تلك المحبة ، فاذا هى نقطة باء المحبة قد قلبتها الفتنة ، فانقلبت المحبة محنة !!

(٢) فى الاصل : والبدن !

(٣) غير واضحة فى الاصل .

(٤) ساقطة فى الاصل .

(٥) فى الاصل : تشكوا !

ولبعضهم :

إذا ما قنعنا بالرســـايل بيننـــــا
فلا أنت معشوق ولا أنا عاشـــق

اذا لَمْ يتم البذل والوصل فيالهوى
فإن الهوى من بعد هاتين طالق(١)

وقال ســـمنون (٢) : كان فى جيراننا رجل ، وكان له جارية ، وكان

---

(١) يرى الصوفية فى هذه الأبيات ، وفى غيرها من أبيات الشـــــعر الرمزى ، اشارات ذوقية تشير الى محبتهم للذات الالهيـــة .. وقـــد كان للصوفية من الأسباب القوية ما دفعهم لاستخدام أسلوب الرمز والكتابة . فمن هذه الأسباب رغبتهم فى الاحتفاظ بمعانيهـــم الذوقية لأنفســـهم فلا يتعرضوا لسوء الفهم من قبل العامة والفقهـــاء الذين يحكمون بظـــاهر الأشياء .

وفى هذه الأبيات نرى الصوفى يناجى الذات الالهية ، وكأنه يتـــوجه بالخطاب الى محبوبة من البشر .. فيكون قد عبر عن مواجيـــده ونشوته بشراب الحب الالهى ، دون أن يتعرض فى الوقت ذاته لانكار الذين يتربصون بالصوفية ويتصيدون كلامهم ومعانيهم .

(٢) هو أبو الحسن ســـمنون بن حمـــزة الخواص ، الملقب بالمحب سمى نفسه سمنون الكذاب ! وذلك لأنه أنشد :

فليس لى فى سواك حـــــظ
فكيفما شـــــئت فامتحنى
ان كان كان يرجو سواك قلبى
لا نلت ســـؤلى ولا التمنى

فابتلاه الله باحتباس البول ! فظل يتألم ويصرخ ، ويدور على الصبيان فى المكاتب ويقول : ادعوا لعمكم الكذاب .. !!

ومن شعره أيضا :

فان شئت واصلنى ، وان شئت لاتصل
فلست أرى قلبى لغيرك يصـــلح

معها مبتلا شديد الميل اليها • فاعتلت الجارية ، فقام الرجل يصنع لها حساء(١) ، فبينما هو يحرك القـــدرة قالت الجارية : آه •• فدهش الرجل ، فسقطت الملعقة من يده ، وجعل يحرك القـــدرة بيـــده حتى تساقطت أصابعه ! قالت الجارية : ماذا صنعت ؟ فقال الرجل : هـــذا موضع قولك آه !!

وأنشد لمحمد بن داود الأصفهانى :

إنى لأحسد والديك إذا هما نظرا اليـــك وفاتحـــاك كلاما

وودت أنهما استعارا ناظرى وتأمـــلاك بمقلتى قدامـــــا

•• حكى عن محمد بن عبد الله البغدادى أنه قال : رأيت بالبصرة شابا على سطح مرتفع ، قد أشرف على الناس وهو يقول : من مات عشقا ، فليمت هكذا ، ألا لاخير فى عشق بلا موت•• ثم رمى بنفسه الى الأرض ، فحملوه ميتا •

وأنشد لبعضهم حين قال :

صابر الصبر فاستغاث به الصبر

فصـــاح المحب بالصـــبر صبرا

قال بعضهم : الصبر فى المحبـــة ترك صـــــدق الصبر ! لأن الصبر فى المحبة محو المحبة • وترك الصـــبر فى المحبة ، صـــــدق الصبر •

---

(١) فى الاصل : حسا .

ولبعضهم :

الصبر عنك فمذموم عواقبـــه
والصبر فى سائر الأشياء محمود

وقال أبو الفتح ، دخلت على الشبلى(١) يوما فى مرضه . فقلت له: ألا نأتيك بطبيب ؟ قال : كيف أشكو الى طبيبى طبيبى ، والذى قـــد أصابنى من طبيبى ! فأخذت المروحة لأروح عنه ـــ فقال :

اذا مرض الحبيب وطال حبه
فحيث الداء ثم يكون طبـــه
وإن أعيا دواء الطب يوما
فطبك أن يحبك من تحبه

---

(١) هو أبو بكر دلف بن جحدر (ويقال ابن جعفـــر) الشـــبلى : من مشاهير الصوفية، ولد ببغداد وأصله من خراسان .. وكان الشبلى معاصرا للحلاج والجنيد، وله معهما مواقف كثير وطريفة ، ويقول عنه السلمى فى الطبقات : هو أوحد وقته حالا وعلما .. وللشبلى عبارات واشعار كثيرة، تصور حال العشق الالهى والوجد الصوفى مثل قوله : لسان العلمماتأدى الينا بواسطة، ولسان الحقيقة ما تأدى الينا بلا واســطة .. وقوله : التصوف ، الجلوس مع الله بلا هم .
وسأله ابراهيم بن شيبان مرة : كم يجوز فى زكاة خمس من الابل ؟فقال: شاه فى واجب الأمر ، وفيما يلزمنا نحن (يقصد الصوفية) كلها ! وكان يقول: أدنى علامات الفقر (يقصد التصوف) أن لو كانت الدنيا بأسرهالاحد فأنفقها ثم خطر بباله أن يمسك منها قوت يوم ـــ ما صدق فى فقره ! .. ومن شعره:
تسربلت للحرب ثوب الغـــرق
وهمت البـــلاد لوجـــد القلق
فاذا خاطبـــونى بعلم الـــورق
برزت عليهـــم بعلم الخـــــرق
وتوفى الشبلى سنة ٣٢٠ هجرية .

وقال عبد الواحد بن زيد(١): رأيت رجلا مهرولا ، ضعيفا ، شاحبا لونه • فسلمت(٢) عليه وقلت له : رياضتك (٣) بلغت بك(٤) هـــذا المبلغ ؟ قال : لا قلت : فماذا ؟ قال : محبـــة دائمة ، واشـــتعال نار فى فؤادى •• قلت : لمن ؟ فصـــاح صيحة ، فغشى (٥) عليــه • فلما أفاق قلت : يا هذا لا تدعى ، ومن ربك ألا تستحى ؟ فنظر الى السماء وقال: بحقى عليك ، ألا قبضتنى بين الخطوتين •• وسجد ، فمكث طويلا ، فلم يبرح ! فنظرت ، فكأنه لم يكن ، فلم أنكر على محب بعد ذلك •

•• سأل ذو النـــون المصرى امرأة عابدة فى تيه بنى اسرائيـــل عن المحبة ، فقالت : ليس لها ابتـــداء فتدرى ، ولا انتهاء فتـــدرك ، لأن المحبوب(٦) لانهاية له ! فأول الحب على الكل ، وأوسطه على القناعة ، وليس لآخرة(٧) غاية •• ثم غشى عليها ، ثم أفاقت وهى تقول :

أحب الله قوماً فاستقامـــوا

على طرق الوداد فلم يناموا

---

(١) عبد الواحد بن زيد ، من أوائل الصوفية — اعتبره بن تيميـــة «الصوفى الأول» . اشتهر بمواعظه الروحية ، حتى قيل أن رجلا مات فى مجلس وعظه من شدة التأثر ، وقيل ايضا فى حقه : «لو قسم بث عبدالواحد ابن زيد على أهل البصرة لوسعهم » .. وتوفى رحمه الله سنة ١٧٧ هجرية.

(٢) مطموسة فى الأصل .

(٣) يقصد الصوفية بالرياضة : المجاهدات الروحية التى يقومون بها، ككثرة الصوم والصلاة والسهر .

(٤) فى الأصل : بلغك !

(٥) فى الأصل : غشى .

(٦) تقصد العابدة بالمحبوب : الذات الالهيـــة التى لا يحدها الحد ، فليس لله تعالى أول ولا آخر ، وهو الأول والآخر سبحانه .

(٧) مطموسة فى الأصل .

سقاهم بالصفا من كأس ود　　فصاموا فى محبته وقاموا

« الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل (١)» . انهم نظروا الى سواه(٢) بعدما نظروا اليه بعين المحبة!
وللشبلى :

جور الهوى أحسن من عدله　　وبخله أظرف من بذله
لو عدل الحب لأهل الهوى　　لمات كل الخلق من عدله

.. فصاحب المحبة ، ساعة يطلب وساعة يهرب ، وساعة يحزن وساعة يطرب ، ليس له حال ولا أمر قائم ، وكيف يدوم حال من يذبح ساعة ويحيى ساعة ، ويشقى ساعة ويغنى ساعة ، ويكشف عن فؤاده ساعة ، ويحجب عن مراده ساعة ..

قال ذو النون ، رحمه الله :

وتمنيت أن أراك فلما رأيتكا
غلبت دهشة السرور فلم أملك البكا

والمحبة نار ، والشوق لهيبها .. أوحى الله الى داود عليه السلام : يا داود ، من طالبنى قتلته فى هواى شوقا الى لقاى ، ومن أحبنى أحببته ، أى أشغفته حتى لا صبر له دونى .

حكى أن أبا الحسين النورى(٣) جاء الى الجنيد ، فقال : بلغنى أنك تتكلم فى شىء من المحبة ، فتكلم فيما أثبت حتى أرده عليك !

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٧ .
(٢) فى الأصل : من سراه !
(٣) هو أبو الحسين احمد بن محمد النورى ، ويعرف بابن البغوى . خراسانى الأصل ، بغدادى المولد والمنشأ ، وهو من أجل مشايخ الصوفية وعلمائهم ، صحب السرى السقطى ومحمد بن على القصاب .. ومن أقواله: ليس التصوف رسوما ولا علوما ، ولكنه أخلاق . وتوفى النورى سنة ٢٩٥ هجرية .

فقال الجنيد : أحكى بدء الحكاية .. كنت أنا وجماعة من أصحابنا فى بستان ، فأبطأ علينا من يجيئنا بما نحتاج اليه ، فصعدنا بطلع ، واذا بضرير معه غلام جميع الوجه ، والضرير يقــول له : أمرتنى يا هــذا بكذا وكذا ..(١) ونهيتنى عن كذا وكذا فتركت ، وما خالفتك فى شىء تريده ، فماذا تريد منى ؟ ! فقال الغــلام : أريد أن تمــوت ! فقــال الضرير : ها أنا ذا أموت .. وتمدد وغطى (٢) وجهه .

فقلت لأصحابى : ما بقى على هــذا الضرير شىء ، قد تشـــبه بالموتى ، ولكن لا يمكنه الموت فى الحقيقة .. فنزلنا اليه وحركناه ، فاذا هو ميت ! فقام النورى وانصرف !! حكى أن ذا النــون(٣) دخل على مريض يعوده ، فوجده يئن(٤) . فقال له : لا يصدق فى محبته من لم يصبر على ضربه ! فقال المريض : لا يصبر فى محبته من لا يتلذذ بضربه .. فنودى من زاوية البيت : ليس بصادق فى محبتنا من لم ييئس من حب غيرنا !!

سئل(٥) : كيف محبتك لصديقك ؟ فقال : اذا رأيته ، أشـــتهى أن لا أرى سواه ، واذا سمعت كلامه ، أشتهى أن لا اســـمع شيئا ســـوى كلامه . قال المتنبى :

ولو إنى استطعت حفظت طرفى فلم أنظر به حتى أراك(٦)

---

(١) يبدو أن كلمة (ففعلت) سقطت من هذا الموضع .
(٢) فى الأصل : وغطا ! (٣) فى الأصل : ذور النون .
(٤) فى الأصل : يان !
(٥) يقصد ، سئل أحد الصوفية .
(٦) البيت من قصيدة لأبى الطيب أحمد بن الحسين المتنبى (توفى سنة ٣٠٣ هجرية مطلعها :

غدى لك من يقصر عن مداكا فلا ملك اذن الا فــداكا

وجاء البيت فى طبعة ديوان المتنبى بهذا الشكل :

ولو انى استطعت خفضت طرفى فلـــم أبصر به حتى أراكا

وقال الشبلى : حقيقة المحبة ، أن تهب كالك لمن تحبـــه ، فلا يبقى فيك لك شىء ! •• حكى أن بعض المتحابين ركبا البحر ، فسقط أحدهما فى البحر وغرق ، فألقى الآخر نفسه فى البحر !

فقام الغواص (١) فأخرجهما سالمين • فقال الأول لصاحبه : أما أنا ـــ فسقطت فى البحر ، فأنت لم ألقيت نفسك ؟ فأنشده :

أنا غايـــب بك عنـــى   توهمت انـــك انـــى

وقال بشر بن الحارث (٢) : ليس من المروءة أن تحب ما يبغضـــه حبيبك •• وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنـــه : ما من شىء أشد من فراق الأحبة •

باب : المعرفة

فأما المعرفة ، فهى(٣) أول فرض افترضه الله على عباده ، بدليل قوله تعـــالى : «وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون»(٤) قال ابن عباس ، أى ليعرفون ••

---

(١) مطموسة فى الأصل .

(٢) هو أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال ابن ماهان بن عبد الله ، الحافى .. لقب بالحافى لأنه كان جالســـا يلهو مع أصدقائه فى منزله ، فطرق رجل الباب ، وعندما فتحت له الخادمة سألها : هل صاحب البيت حر أم عبد ؟ فقالت : انه حر ! فقـــال : نعم ، فلو كان عبدا لحفظ آداب العبودية مع ربه ..

ثم خرج الرجل ، وعندما سمع بشر بن الحارث بهذا الحوار من خادمته، هرول فى أثر الرجل ، وكان حافيا .. ومنذ ذلك اليوم ، ظل لا يلبس أحذية قط ، ويقول : خاطبنى ربى وأنا على هذه الصـــورة ! وعاش بشر الحافى حياة الزهد التقشف ، ومات سنة ٢٢٧ هـ .

(٣) فى الأصل : فهو !

(٤) سورة الذاريات ، آية ٥٦ .

سئل النبى ﷺ : بماذا عرفت الله عز وجل ؟ فقال « ما شاء الله ! انى لا أعرف ربى بشىء ، بل عرفت الأشـــياء به » وقال أبو بكر الصـــديق : ســبحان من لم يجعل لخلقه طريقا الى معرفته ، الا بالعجز عن معرفته.(١)

وقال أبو الدرداء(٢) : سألت رسول الله ﷺ عن المعرفة ، فقـــال: سألت جبريل عليه السلام عن المعرفة ، فقال : سألت الله عز وجل عن المعرفة ، فقال الله عز وجل : سر من أسرارى ـــ لا أودعه الا فى سر(٣) يصلح لمعرفتى .

سئل يوسف بن الحسين عن أصل المعرفة ، فقال : أصل المعرفة رحمة الله على العبد ، ونظره اليـــه ، وتوفيقه له أن يدرك الآية : قال عز وجل «يختص برحمته من يشاء.» (٤) ثم سئل : بماذا يعرف العبد ربه ؟ فقال : العبد عاجز عن معرفة نفسه ، فكيف معرفة ربه ، فمن عرف الله بالله ، فقد عرفه به ، واهتدى اليه ، وبه (٥) استدل عليه .

سئل الجنيد : بماذا عرفت ربك ؟ فقال : عرفت ربى بربى ، فلولا ربى ، ما عرفت ربى !

---

(١) ينسب الى أبى بكر الصـــديق قوله : «العجز عن درك الادراك ادراك» وتتردد هذه العبارة كثيرا فى مؤلفاته الصوفية .. (أنظر الفتوحات المكية لابن عربى ـــ الانســان الكامل لعبد الكريم الجيلى) .

(٢) هو أبو الدرداء عويمر بن زيد ، من خاصة صحابة النبى ﷺ وهو من كبار قراء المدينة . دعا أبو الدرداء الى المعانى الذوقية منذ وقت مبكر ، وتعلم على يديه أوائل الصوفية .. وتوفى أبو الدرداء ســـنة ٣١ هجرية .

(٣) أى فى قلب يصلح لمعرفتى .

(٤) سورة البقرة ، آية ١٠٥ .

(٥) فى الأصل : وبك !

وقال أبو الحسين النورى : المعرفة معـــرفتان (١) ، معرفة حق ، ومعرفة حقيقة • أما معرفة الحق ، فهى اثبات الوحدانية على ما أبرز من الصفات ، وأما معـــرفة الحقيقة ، فلا(٢) سبيل اليها ، لامتنـــاع الصمدانية وتحقيق الربوبية •

وقال أبو يزيد (٣) : حسبك من المعرفة أن تعرف أنه يراك ، ومن العلم أنه مستغن عن عملك !

وقال بعضـــهم : الطريق الى الله ، هو الله ، لأنه لا يعرف الله الا بالله ، لقوله عز وجل : « وعلى الله قصد السبيل(٤) » •

وقال الشبلى : علامة المعرفة المحبة ، لأن من عرفه أحبه •• وقال الجنيد : المعـــرفة طلوع الحـــق على الأسرار ، بمواصـــلة لطائف الأنوار •• وقيل : المعرفة تحقيق القلب بواحدانية الله •• وقال بعضهم : عرفت الله به ، وعرفت مادون الله بنور الله •

المعرفة ثلاثة : معرفة اللســـان وهو الاقرار ، ومعرفة القلب وهو التصديق ، ومعرفة الروح وهو اليقين •

---

(١) فى الأصل : معرفتين •
(٢) فى الأصل : لا سبيل •
(٣) هو أبو يزيد طيفور بن عيسى بن شروسان ، أصله من بســـطام (بلدة على طريق نيسابور) كان جده (شروسا) مجوسيا فأســـلم ، وأبو يزيد البسطامى من أشهر الصوفية الأوائل ، عاش حياة الزهد والتقشف، وعرف بشطحاته الصوفية (وهى أقوال غريبة تصدر عن الصوفى فى حالة الوجد) .. وتوفى البسطامى سنة ٢٦١ هجرية ، ولا يزال قبره يزار الى اليوم ببسطام .
(٤) سورة النحل ، آية ٩ .

وقال ذو النون : أول المعرفة التخيير ، ثم الاختيار ، ثم الاتصال..

وقيل : معرفة الله أن تلزم قلبك على قيام الله عليك . وقيل : معرفة الله ترك التدبير(١) والاختيار .

وقيل : من عرف الله هابه كل شيء ، وسقط عنه خوف كل شيء ، ومن عرف الله خرس لسانه . وقيل ، صحة المعرفة بالعلم ، وصحة العلم بالمعرفة ، لا يستغنى أحدهما عن صاحبه . المعرفة علم القلب بوجود الرب .. المعرفة مطالعة القلب بأفراده على لطائف تعريفه .. وقيل : المعرفة العلم بصفاته ، والخبرة بذاته .

حكى أن فقيرا دخل على الحارث المحاسبى ، وكان قد صنف كتابا عن المعرفة، فقال: أسألك مسألة ؟ فقال : سل ! فقال الفقير : أخبرنى عن المعرفة، أحق للعبد على الحق ، أم حق للحق على العبد ؟ قال : فتحير الحارث وترك التصنيف !

وقال بعضهم : العارف ثلاث علامات ، لسانه بالحكمة ناطق ، وقلبه بالمعرفة صادق ، وبدنه بالحد موافق ! وقال : أطلبوا معرفة الله فى قلوبكم ، واطلبوا معرفة الديانة من العلماء ، فانهم حجة الله عليكم ، ولا تستغنوا بالله عن الله ، ولا بالعلم عن العلم واعلموا أن لكل علم علما — وفوق كل ذى علم عليم .

حكى أن رجلا جاء الى أبى الحسين النورى ، فقال له : ما الدليل على الله ؟ ! فقال : الله ! قال : فما بال العقل ؟ ! قال : العقل عاجز ، والعاجز لا يدل الا على عاجز مثله !

---

(١) ترك التدبير ، أو اسقاط التدبير اصطلاح صوفى يقصد به التوكل . وقد شرح ابن عطاء الله السكندرى — تلميذ أبو العباس المرسى — هذه النقطة فى كتابه (التنوير فى اسقاط التدبير) .

(٢) أى هاب العارف حدود الله ، وسقط عنه خوف ما سواه تعالى .

وقيل ، العارفون بالله هم الملوك حقا .. وقال أبو على الدقاق(١) : من عرف الله اعتصم بالله ، ومن اعتصم بالله نال الهـداية من الله ..

وقال الشبلى : من عرف الله زال عنه الحزن(٢) ..

وقال الجنيد : من عرف الله طال حزنه(٣) ..

وقال أبو يزيد : ما أعطى الناس من معرفة الله الا بقدر الهاروسة (يعنى الدخنة) وقال أبو بكر الوراق(٤) : صدر العارف مشروح ، وقلبه مجروح — وبدنه مطروح(٥) !

وقال الجنيد : العارفون اذا نظروا ، فليس بينهم وبين الله حجاب غير الدنيا ، فتهتكوا ..

وقال الشبلى : من عرف الله ، صفا له العيش وطابت له الحياة.

وسئل أحد(٦) المشايخ عن المعرفة فقال : تحقيق القلب باثبـات وحدانيته وكمال صفاته وأسمائه ، وأنه المنفرد بالعز والقدرة السلطنة والعظمـة ، بلا كيف ولا شبه ولا مثـال ، بنفى الأضـداد والانداد والأسباب عن القلوب .

---

(١) هو أبو على ابراهيم الدقاق ، من أوائل الصوفية . عرف بالزهد والتوكل ، وقد ذكر لنا الكلاباذى بعض اقواله فى التوبة ..

(٢) أى طال حزنه لكثرة ذنوبه أمام عظمة الله وقدرته !

(٤) هو أبو بكر محمد بن عمر الحكيم الوراق ، أصله من ترمذ ، عاش ببلخ (من بلاد فارس) وله مؤلفات كثيرة فى أنواع الرياضات الصوفيـة والآداب الروحية ..

(٥) بدنه مطروح : من كثرة الرياضات الروحية التى تصـل به الى المعرفة .

(٦) فى الأصل ، بعض .

وقال سهل بن عبد الله(١) : كنت أسير فى البر اذ رأيت غلاما أسودا ، وبين يديه أغنام ، وعلى وجهه من المعرفة أعلام . فقال لى : أنت حضرى ؟ فقلت : نعم ! فقال : بما عرفت مولاك ؟ فقلت: بالشواهد! فقال : هيهات ، من عرف ربه بالشواهد غرق فى بحار الشدائد ، وفاته من الله كريم العوائد .. ثم أنشد وجعل يقول :

انى لأعرف مولاى بمولاى
ولست آمله الا لبلواى

هو الجواد فلم يدرك من أحد
هويته(٢) بدليل العقل والراى

باب : التوكل

وقد ذكره الله تعالى فى مواضع من القرآن العظيم : «ومن يتوكل على الله فهو حسبه(٣)» . أى حسبه الله من جميع خلقه ، وقال تعالى: «وعلى الله فليتوكل المؤمنون(٤)» . وقال الله تعالى لرسوله : «فاذا عزمت فتوكل على الله»(٥) وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قال

---

(١) هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن رفيع التسترى ، من أئمة التصوف الكبار الذين تكلموا فى الزهد والاخلاص وعيوب الأفعال .. ومن أقواله : «الناس نيام ، فاذا انتبهوا ندموا ، واذا ندموا لم تنفعهم ندامتهم» .. «أدنى الأدب أن تقف عند الجهل، وآخر الأدب أن تقف عند الشبهة» . وقد توفى التسترى ٢٨٣ هجرية .

(٢) غير مقروءة فى الأصل !

(٣) سورة الطلاق ، آية ٣ .

(٤) سورة آل عمران ، آية ١٢٢ .

(٥) سورة آل عمران ، آية ١٥٩ .

ﷺ : لو توكلتم على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو(١) خماصا وتعود بطانا(٢) .

وقال عبد الله بن مسعود : انه عز وجل ، حسب من يتوكل ومن لا يتوكل ، لأن الله عز وجل كافى الخلق ، جهلوا أم علموا ، لأنه خالقهم ، ولا يملك كفايتهم غيره .. وروى عن النبى ﷺ أنه قال: من ضمن لى خصلة ، أضمن له الجنة(٣) .

وقال ثوبان ، قال لى رسول الله ﷺ : لا تسأل الناس شيئا .. فكان اذا سقط السوط من يده ، لايكلف أحدا يناوله إياه . فكانت عائشة رضى الله عنها تقول : تعاهدا ثوبان والامساك ! وقال ﷺ : من توكل وقنع ، كفى الطلب (٤) .

وقال على بن عبد الرحيم القناد(٥) : دخلت قرقسيا سنة خمسة

---

(١) ساقطة فى الأصل ، وتوجد فى الحديث الشريف !

(٢) أخرجه بن ماجة فى السنن ، والترمذى فى الصحيح (باب الزهد) وابن حنبل فى الجزء الأول من المسند .

(٣) وفى صحيح البخارى : من ضمن لى ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة : ورواه الترمذى عن سهل بن سعد بلفظ : من يضمن لى ما بين لحييه و ما بين رجليه اضمن له الجنة .. وأخرجه ابن حنبل فى المسند ، الجزء الخامس ص ٣٢٣ .

(٤) أنظر الحديث برواية أخرى فى سنن بن ماجه (كتاب الزهد) باب ١٤ .

(٥) هو أبو الحسن على بن عبد الرحيم الواسطى القناد ، من أعلام الملامتيه (الصوفية الذين يكتمون حقيقة صلاحهم خوفا من الفتنة) اشتغل بالحديث ، توفى ٣٠٩ هجرية .

عشر وثلاثمائة ، فرأيت فيها شيخا يعرف بأبى الأزهر له أربعمائة من التلامذة كلهم يقولوا بالتوكل وترك الكسب .

وقال الحسن البصرى(١) : من توكل وقنع ورضى ، آتاه الشىء بلا طلب .

.. حكى أن الله تعالى أوحى الى عيسى عليه السلام : توكل على أكفيك ، ولا تتولى غيرى اخذلك ، فانه(٢) من استغنى بالله اكتفى، ومن انقطع الى غير الله تعنا .

وقال الجنيد : لا تتهم رزقك الذى كفينه ، واعمل عملك الذى كلفته ، فان ذلك(٣) من عمل الكرام والفتيان(٤) .

وقال سفيان بن عيينه ، قيل لأبى حازم(٥) : ما مالك ؟ فقال : فى ما نال(٦) الثقة بالله ، والأياس مما فى أيدى الناس .. وقال الحسن البصرى : من اتكل الى حسن الاختيار من الله ، فالواجب عليه أن لا يتمنى أنه فى غير حاله الذى اختار الله له(٧) .

---

(١) هو الحسن بن يسار البصرى ، سلف الأمة ، وأستاذ الصوفية والمتكلمين . كان سيد البصرة وأكبر علمائها فى وقته .. ولد سنة ٢١ هجرية .

(٢) فى الأصل : لكنه !

(٣) فى الأصل : من ذلك .

(٤) يقصد الصوفية بالفتيان ، المريدين الصادقين من أهل الطريق .

(٥) هو أبو حازم سلمة بن دينار المدينى ، من أئمة التابعين الذين جمعوا بين الشريعة والحقيقة .

(٦) فى الأصل : مالان !

(٧) يشير الحسن البصرى هنا الى المقام التى تكون فيه النفس راضية مرضية ، وهو ما يعرف عند الصوفية بمقام الرضا .

نكتته(١) : أخوف (٢) الناس هم(٣) أسوأهم بالأرزاق ظنا ..

قال سهل بن عبد الله : من اهتم بالخبز ، فليس له عند الله قدر ..

وقيل لأبى عثمان(٤) : من أين تأكل ؟ فقال : ان كنت مؤمنـا ، فأنت مستغن عن هذا السؤال ، وان كنت جاحدا ، فلا خطاب معك . ثم تلا : «وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها»(٥) .

وقال أبو يزيد البسطامى : يقول الله عز وجل ، من أتانى منقطعا ، جعلت ارداتى فى ارادته وجعلت له حياة لاموت فيها .

باب : صفة المتوكل

أمر الله سبحانه وتعالى بالتوكل ، وجعله مقرونا بالايمان ، لقوله تعالى : «وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين» .(٦) فجعل التوكل عليه ، حقيقة الايمان .والتوكل جند الله فى الأرض ، يقوى به قلوب المريدين(٧)

---

(١) النكتة هى الاشارة الدقيقة لمعنى بعيد ، ونكت فى اللغة : أشار (أنظر ، لسان العرب لابن منظور) وعند الصوفية ، النكتة هى عبـارة بسيطة تحتوى كلماتها على معنى عظيم .

(٢) غير مقروءة فى الأصل .

(٣) فى الأصل : هما !

(٤) هو أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الحيرى النيسابورى ، أصله من الرى . كان أوحد الصوفية فى وقته ، ومنه انتشرت طريقة التصوف نيسابور ومات أبو عثمان بنيسابور سنة ٢٩٨ هجرية .

(٥) سورة هود ، آية ٦ .

(٦) سورة المائدة ، ٢٣ .

(٧) المريد عند الصوفية هو المبتدأ الذى يبدأ فى سـلوك طـريق المجاهدات الروحية ملتمسا العون من شـيخ يعرفه أصـول التصـوف وحقائقه .. وقد اهتم الصوفية بالرابطة الروحيـة بين الشـيخ والمريد (انظر على سبيل المثال : الكوكب الشـاهق فى الفرق بين المريد الصادق وغير الصادق ، بتحقيق د/ حسن الشرقاوى) .

والجوع(١) طعام الله فى الأرض ، يشبع به أبدان الصديقين ، والحرص راية الله فى الأرض ، يضعها على رقاب الراغبين !

وقال سهل بن عبد الله : أول مقام التوكل ، أن يكون العبد بين يدى الله عز وجل ، كالميت بين يدى الغاسل ، يقلبه كيف يشاء .. وترك الأسباب انما هو وبال .

سئل ذو النون المصرى عن التوكل فقال : خلع الأرباب ، وترك الأسباب .. وقال رويم(٢) : التوكل اسقاط رؤية الوسائط — والتعلق بأعلى(٣) الوثائق .. وقال الجنيد : التوكل اعتماد جواهر القلوب على الله بازالة (٤) الأطماع عما سواه . ويقال ذاتية الوكل : انتظار السبب

---

(١) للجوع عند الصوفية مفاهيم خاصة ، وقد دعا اليه الصوفية منذ وقت مبكر كعلامة على الزهد وترك الدنيا . ويرتبط الجوع عند الصوفية بمحاربة النفس ومطالبها الحسية ، خاصة الشهوة الجنسية ، وهو بذلك باب للتفرغ للعبادة ، وللتخلص من أوزار الجسد .

وقد برز الجوع عند زهاد الشام الأوائل ، وكان من أبرز سمات الزهد فى الشام . ويخبرنا الكلاباذى أن الزهاد فى الشام سموا بالجوعيين فقد اعتبروا الشبع أمرا يورث اللامبالاة ، وينأى بالنفس عن التفكر .. ومن أوائل الزهاد الذين اتخذوا طريق الجوع ، عمر بن الأسود السكونى ، وأبو القاسم بن عثمان (المتوفى سنة ٢٠٠ هجرية) وأبو سليمان الدارانى.

وقد مثل لنا الدارانى أثر الشبع فى النفس بأنه رأى طائرتين يلتقطان الحب ، فلما شبعا أراد الذكر الأنثى ! فقال : لما شبعا ، دعته نفسه الى ما ترى .. ومن أقوال الدارانى : مفتاح الدنيا الشبع ، ومفتاح الآخرة الجوع .

(٢) هو رويم بن أحمد البغدادى ، من كبار صوفية بغداد . كان فقيها على مذهب داود الأصفهانى ، ومحدثا ومقرئا وعالما بالشريعة وأخلاق الفتوة والتوكل .. توفى سنة ٣٠٣ هجرية .

(٣) فى الاصل : باعلا !

(٤) فى الأصل : بازولة !

من المسبب ، من غير رؤية السبب ، بلا اهتمام ولا كرب ولا حزن ولا طرب ..

وقال ابراهيم بن أدهم : التوكل أن يستوى عندك أفخاذ السباع والمتكىء على الحشايا(١) .

وقال الدقاق : التوكل رد العيش الى يوم واحد ، واسقاط هم غد .. وقال رويم : التوكل الثقة بالوعد .. وقال أبو عثمان : التوكل الصبر على الدنيا ، وقطع القلب عنها .. وقال الخواص(٢) : سنة المتوكلين ، التوكل ، وهو اعتماد القلب على أن الله تعالى هو الخلاق الرزاق ، وهو المعطى للأشياء ، المانع ، الضار النافع ، القابض الباسط ، لا معجل لما أخر ولا مؤخر لما عجل ، وأن العبد بحركته لا يزداد فى رزقه ، ولا بعدم سعيه(٣) وقعوده وتركطلبه ينقص من رزقه ، لأن الله تعالى قد قسم الأرزاق وفرغ منها ، وتولى القيام بالقسمة دون غيره ، فبعض الرزق يجيىء بطلب وبعضه يجىء بغير طلب . فمن من أهل المرفة ، يستحى من الله جل جلاله أن يتوكل عليه ليكفيه أمر رزقه ، خاصة لأن الكفاية من الله قائمة للخلق ، فهو يستحى منه أن يبدى شيئا تولى الله كفايته ، انما يتوكل على الله فى أمر الآخرة الذى لم يضمن له كفايته ، مثل الموت وروعته ، والسكون الى الله عند نزوله ، ووحشة القبر وافراده فيه ، ولقاء منكر ونكير ، والبعث والنشور

---

(١) ليس التوكل المشار اليه فى عبارة ابراهيم بن أدهم هو توكل عوام الناس ، فالاشارة هنا الى توكل خواص الخواص .

(٢) هو أبو اسحاق ابراهيم بن أحمد بن اسماعيل الخواص : من أقران أبى القاسم الجنيد والنورى . له مقامات صوفية عالية وعبارات ذوقية ، عاش حياة الزهد والتوكل توفى ٢٩١ هـ .

(٣) فى الأصل : يعدم سعيه !

وطول القيام والوقوف فى القيامة ، وشدة الحر فى يوم طويل .. فاعمد الى هذا التوكل اذا أحكمت التوكل على الله ، فهذا توكل قد غفل عنه كثير من المتوكلين .

وقال : من ترك التدبير ، عاش فى راحة التوكل ، وهو أن يكون العبد كالطفل الصغير فى حجر أمه ، تقلبه كيف شاءت بأحسن تدبير !

وقال ابراهيم الخـــواص فى «كتاب المتوكلين» : هـــو أن لا يركن القلب الى مال ولا سبب ولا مخلوق(١) ، بل يركن القلب الى الله حتى يجد للمنع حلاوة ما يجد عند العطاء ، وهو سكون القب الى ما فى الغيب مما قسم له(٢) وغيبة وأخفاه الى تو(٣) ، فيكون ســـكونه الى ما فى اليد ، لأن ما فى اليد تحدث عليه الحوادث ، وما عند الله باق ، يأتى به فى أوقاته .. فاذا عرف ذلك العبد معرفة غير منقطعة ، كان قويا عند زوال الدنيا واقبالها ، وعند المنع والعطاء .

وقيل : الرزق ثلاثة ، رزق العامى من الحركة ، ورزق الخاص من القسمة ، ورزق خاص الخاص من القدرة !

وقال محمد بن كرّام(٤) : حسبك من التوكل أن لا تطلب لنفسك ناصرا غيره ، ولا لرزقك خازنا غيره ، ولا لعلمك شاهدا غيره .

---

(١) فى الأصل : وإلا لسبب ولا لمخلوق .

(٢) فى الأصل : اليه !

(٣) أى الى ميقات معلوم ، وموعد محدد .

(٤) هو محمد بن كرام أبو عبد الله السجستانى ، وهو شيخ طائفة (الكرامية) وهى فرقة من أهم فرق المسلمين .. وتوفى محمد بن كرام سنة ٢٥٥ هجرية ، وهى السنة التى حدثت فيها ثورة الزنج بالبصرة .

وقيل لابراهيم بن شيبان : ما هو التوكل ؟ فقال : هو سر بين الله وبين العبد ، فالواجب أن لا يطلع على سره غيره .

قال يحيى بن معاذ الرازى(١) التوكل ثلاث درجات ، أولها ترك الشكاية ، والثانى الرضى بالمقسوم ، والثالث المحبة فأولها للصالحين والثانى للأبرار ، والثالث للأنبياء .

وسئل الشبلى(٢) عن التوكل ، فقال : نسيان التوكل (٣) فى وقت الحضور .. ثم قال :

كم حاجة اليك(٤) أسـترها أخاف عنـد التلاق اذكرها

وقال سهل بن عبد الله : من طعن فى الحركة(٥) ، فقد طعن فى السنة .. ومن طعن فى التوكل فقد طعن فى الايمان !

---

(١) هو يحيى بن معاذ الرازى ، الملقب بالواعظ ، من كبار صوفية الرى ، كان من اسرة عرفت بالزهد والتقشف ، خرج مع أحـد اخوته الى خراسان ، وزار نيسابور وبلخ من بلاد فارس . وللرازى مؤلفات فى التصوف ، اذ يذكره الكلاباذى ضمن الذين صنفوا فى المعاملات الروحية ، كما اشتهرت عنه عبارات صوفية وأقوال مأثورة فى شكل حكم ذوقية .. من ذلك قوله : الدنيا دار أشغال ، والآخرة دار أهوال ، ولا يزال العبـد بين الأهوال الأشـغال ، حتى يسـتقر به القـرار أما الى جنة وأما الى نار ..

وتوفى الرازى فى بعض قرى جوزجان — بخراسان — سنة ٢٥٨ .

(٢) فى الأصل : الشيبى !

(٣) مطموسة فى الأصل .

(٤) فى الأصل : الى اليك !

(٥) يقصد طلب الرزق .

باب : ثواب توكل الكفاية

المتوكلون على ثلاث طبقات: توكل المؤمنين، وتوكل أهل الخصوص، وتوكل خصوص الخصوص ، فهو كما قال الشبلى حين سئل عن التوكل، فقال : أن تكون لله كما لم تكن ، فيكون الله لك كما لم يزل !

فأما توكل المؤمنين ، فشرطه ما قال أبو تراب النخشبى(١) حين سئل عن التوكل فقال : طرح البدن فى العبودية ، وتعلق القلب بالربوبية، والانقطاع الى الله بالكلية ، فان أعطى شكر ، وان منع صبر راضيا وموافقا للقدر ..

سئل ذو النون عن التوكل ، فقال : ترك تدبير النفس ، والانخلاع من الحول القوة .

وأما توكل الخصوص ، فهو(٢) كما قال أبو العباس بن عطاء(٣): من توكل على الله بغير الله ، لم يتوكل على الله ، حتى يتوكل على الله بالله

---

(١) هو أبو تراب عسكر بن محمد بن حصين النخشبى ، من جلة مشايخ خراسان المذكورين بالعلم والتوكل والورع . اعتبره السلمى ضمن رجال الطبقة الأولى ، صحب أبا حاتم العطار وحاتم الأصم وغيرهم من كبار مشايخ الصوفية .. وتوفى فى البادية — ويقال نهشته السباع سنة ٢٤٥ هجرية .

(٢) ساقطة فى الأصل !

(٣) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمى ، من مشايخ الصوفية وعلمائهم .. صحب ابراهيم المارستانى والجنيد بن محمد، وكان أبو سعيد الخراز يعظم شأنه ويبجله .. ومن أقواله : أصح العقول عقل وافق التحقيق ، وشر الطاعات طاعة أورثت عجبا ، وخير الذنوب ذنب أورث توبة وندما .. وتوفى بن عطاء الأدمي ما بين ٣٠٩ و ٣١١ هجرية .

ولله ، ويكون متوكلا على الله فى توكله ، لا لسبب آخـــر .. وكما قال أبو يعقوب النهر جورى(١): التوكل موت النفس ، وذهاب حظوظها من أسباب الدنيا والآخرة .

وأما توكل خصوص الخصوص ، فهو كما سئل الجنيد عن التوكل ، فقال : اعتمـــاد القلوب على الله فى جميع الأحوال .. وقال سهل بن عبد الله : يعطى أهل التوكل ثلاثة أشياء حقيقـــة اليقين ، ومكاشـــفة الغيوب ، وقرب الرب .. وقال أبو بكر الكتانى(٢) : من عزم على(٣) التوكل فليحفر لنفسه قبرا ، ويدفن نفسه فيه ويتوكل على الله فى دفن نفسه ! ثم اذا أخرج ، توكل عليه فى التوكل عليه .

---

(١) هو أبو يعقوب اسحاق بن محمد بن أيوب النهرجورى ، من علماء التصوف . صحب الجنيد وعمرو بن عثمان المكى وغيرهم ، وصنف رسائلا وكتبا فى علوم الاشارة الصوفية ، وكان رحمـــه الله يقيم بالحرم النبـــوى الشريف حتى توفى به .. ومن أقواله : الدنيـــا بحر ، والآخرة ســـاحل ، والمركب التقوى ، والناس سفر ! وتوفى النهرجورى سنة ٣٠٣ .

(٢) هو أبو بكر محمد بن على بن جعفر الكتانى ، الملقب بالغوث ، من كبار صوفية بغداد ، لقبه معـــاصروه بسراج الحرم ، تكلم فى التوبة والزهد والسماع وغيرها من الموضوعات الصوفية ، وألف بعض الرسائل فى هذه العلوم الذوقية .. وكان الكتانى أول من تحدث عن حكومة الباطن التى يرأسها القطب وبعده الابدال والنقباء !

ومما يحكى عنه ، أنه رأى رجل اشيب الشعر يسأل الناس ، فقال: هذا رجل أضاع أمر الله فى صغره ، فضيعه الله فى كبره .. وتوفى أبو بكر الكتانى بمكة المكرمة سنة ٣٢٢ .

(٣) الى هنا تنتهى ورقة ٧ ب من المخطوطة ، وبعدها يتغير الخط وقلم النسخ .

سئل حاتم الأصم (١) : على ماذا أنيت أمرك من التوكل على الله ؟ فقال : على أربع خصال ، علمت أن رزقى لا يأكله غيرى ، فاطمأنت به نفسى • وعلمت أن عملى لا يعمله غيرى ، فأنا مشغول به ، وعلمت أن الموت يأتى بغتة ، فأنا أبادره • وعلمت أنى لا أخيل من عين الله حيث كنت ، فأنا استحى منه ••

وسئل أبو بكر الجريبينى عن التوكل ، فلم يجب ! فقيل له فى ذلك، فقال : فى بيتى أربع دوانق (٢) ، حتى أذهب فأخرجها ، فانى إستحى من الله أن أتكلم فى التوكل ، وفى بيتى أربع دوانق ! وقال : المتوكل ، لا يهتم اليوم بانيه ، لمعرفته بقسمينه •

قال سفيان الثورى(١) : لو أن السماء لم تقطر ، والأرض لم تنبت ، ثم اهتممت بشىء من رزقى لظننت انى كافر !

---

(١) هو أبو عبد الرحمن حاتم بن عنوان بن يوسف الأصم ، من قدماء مشايخ خراسان ، ولد ببلخ ثم زار بغداد واجتمع فيها بفقهاء الحديث ومشايخ الصوفية ، وشارك فى معارك الفتوح : وعرف بالزهد والعبادة.. وتوفى حاتم الأصم سنة ٢٣٧ هجرية .

(٢) الدانق قطعة صغيرة من العملة المتداولة فى ذلك الوقت .. وفى (لسان العرب) هى ما يعادل سدس الدرهم .

(٣) هو سفيان بن سعيد الثورى ، من أوائل صوفية الكوفة . عاش حياة التقشف وكان له مدرسة فى الزهد ، وعرف بانقطاعه عن الدنيا لطلب العلم ، وبسياحاته فى الأرض على طريقة الصوفية .. ولقب سفيان الثورى بأمير المؤمنين فى الحديث ، لدرايته الواسعة بالحديث النبوى . وقد عاش الثورى ما يقرب من ٦٢ عاما ، قضاها فى السياحة وطلب العلم ، حتى توفى سنة ١٦١ بالبصرة .

قال عامر بن عبد القيس (١) : والله ما اهتممت برزقى منذ قرأت «وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها» (٢) .

نكتة : كن أمنا بالله ، ولا تكن أمنا عن الله ، واطرح تدبيرك الى من خلقك تستريح .

قيل : وما الراحة ؟ فقال : ترك مطالبة ما لا يجرى فى القسمة .. والمتوكل لا يسئل ، ولا يرد ، ولا يحبس .

وقال بعضهم : التوكل لا يصح للمتوكل حتى تكون (٣) : السماء عنده كالصخر (٤) ، والأرض كالحديد ، لا ينزل من السماء قطرة ، ولا ينبت من الأرض نبات ، ويعلم مع ذلك ، أن الله عز وجل لا يخلفه ما ضمن له من الرزق .. من يكل أمره الى الله ، فانه يكفيه هم الدارين، قال الله عز وجل : « وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا » (٥) قال حاتم الأصم ، معناه : وما لنا لا نثق الله ، وقد أعطانا الاسلام والهدى ..

وقال ابراهيم الخواص : إن المتوكل على الله ، لو جاء الأسد من خلفه ، فالتفت ، خرج من التوكل !

---

(١) هو عامر بن عبد الله بن عبد قيس ، من أوائل الزهاد بالبصرة . عاش حياة الزهد والتوكل فى وقت مبكر ، وينسب له القول : لو كشف عنى الحجاب ما أزدت يقينا .. وتوفى ببيت المقدس سنة ٦٠ هجرية .

(٢) سورة هود ، آية ٦ .

(٣) فى الأصل : يكون !

(٤) تصعب قراءتها فى الأصل .

(٥) سورة ابراهيم ، آية ١٢ .. وفى الأصل المخطوط : وما لنا أن لانتوكل على الله وقد هدى سبيلنا !!

حكى عن عثمان بن تزدار قال ، سمعت أبا سعيد الخراز يقول :

قطعت البادية مرارا على التجريد(١) ، فكنت أساكن الواردين من خلفى ، ثم خرجت خرجة ، اعتقدت فيها اعتقادا ، وعاهدت الله عهدا ، وسألته التوفيق أن لا أساكن مستقبلا ولا مستديرا ، ولا التفت يمينا ولا شمالا ، فخرجت بهذه النية ، فلما صرت فى بعض سواد العراق ، كنت أسير يوما بين الصلاتين فى موضع «سبع» ، فسمعت خلفى حسا ، فطالبتنى نفسى بالالتفات ، فذكرت العهد (٢) بينى وبين الله ، فبقيت على حالى ، وسكنت نفسى على الفزع ، حتى قرب المشى ، وأحسست (٣) بمشى الأسد وزئيره • ومشيت على حالى ، فاذا خده على كتفى الأيمن ، وخد آخر على كتفى الأيسر ! فثبت الله جنانى ، فلحسا حذائى ثم رجعا فى طريقهما • ومشيت أنا على حالتى ، ورجوت أنه قد صح التوفيق فيما اعتمدته ! انتهى(٤) •

---

(١) السير على التجريد ، واحدة من المجاهدات الصوفية : وفيها يخرج الصوفى للسياحة وقد اسقط تدبيره تماما مع ربه . ويقال : على تجريد النفس من كل ما سوى الله عز وجل !

(٢) فى الأصل : العقد !

(٣) فى الأصل : حسست

(٤) هذه الحكاية ، من الكرامات الصوفية التى تتحدث عنها كتب الطبقات . والكرامة هى حدث خارق للعادة يجرية الله على يد أوليائه ليثبت فؤادهم أو ليمتحنهم بها ! وقد ينكر البعض كرامات الأولياء .. وقد ناقش هذه القضية حجة الاسلام أبو حامد الغزالى فى كتابه «الاحياء» مناقشة مستفيضة ، ويقول الصوفية ان من ينكر كرامات الأولياء ينكر معجزات الانبياء . فالانبياء معجزات ، وللأولياء كرامات ..

ويذكر اليافعى فى كتابه (نشر المحاسن الغالية) ان كتب أهل السنة ناطقة بجواز الكرامة ووقوعها ، ويحتجون عليها فى كتب الاصر بالمنقول =

باب : الرضا

قال الله عز وجل : «رضى الله عنهم ورضوا عنه(١)» . كما سئل عن الرضى بعض المشايخ فقال : أن ترضى بمر القضاء .

وقال النبى ﷺ : يا معشر الفقراء ، أعطوا الرضا من قلوبكم ، تثبتوا بثبوت فقركم ، وإلا فلا ..

وقال أحمد بن حنبل رضى الله عنه : الرضى ثلاثة أشـــياء ، ترك الاختيار ، وسرور القلب بمر القضاء ، واسقاط التدبير من النفس حتى يحكم الله لها وعليها .

وقال صلى الله عليه وسلم : ثلاث يدرك بهن العبد رغائب الدنيـــا والآخرة ، الصبر عند البلاء ، والرضا بالقضاء ، والدعاء فى الرخاء ..

وقال الحسن البصرى : ما قضى للمؤمن من قضاء قط ، أحبه أو كرهه ، إلا كان له خيرا(٢) .

= والمعقول والمتواتر بين الناس . ويقول اليافعى : ظهور الكرامات على الأولياء جائز عقلا ، وواقع نقلا أما جوازه بالعقل ، فلانه ليس بمستحيل فى قدرة الله .
أما وقوع ذلك بالنقل فقد أخبر بذلك القـــرآن الكريم والأخبـــار والاثار بالاسناد بما يخرج عن الحصر والتعداد .

(١) سورة المائدة ، آية ١١٩ .

(٢) تشير عبارة الحسن البصرى : الى الفكرة التى ستصبح فيما بعد واحدة من أهم نظريات علم الكلام وهى نظرية (الصلاح والأصلح) .. فقد ذهب بعض متكلمى الاسلام الى أن الفعل الالهى فى الخلق يحقق دائمـــا (الأصلح) وليس الصالح فحسب . اذ أن الله تعالى أعلم بشئون خلقه حتى من أنفسهم .. فقد يطلب الانسان من ربه شيئا وهو يظن أن خيره فى هذا الشىء ، وربما أجاب الله طلب الانسان ، وربما فعل به شيئا آخر .. ففى =

وقال بعض المشايخ : سمة الراضين قطع الاختيار والمنى ، بحكم الله وقضائه ، وايثار محبة الله على محبة النفس(١) •

قال (٢) بشر الحافى : الراضى(٣) عن الله ، اذا ابتلاه فى بدنه ، لم يحب المعافية، فان عافاه لم يحب ينقله، حتى يكون هو الذى يحوله!! وإن أغناه ، لم يحب أن يفقره ، وإن أفقره(٤) ، لم يحب أن يغنيه •• وأن يرضى ما يرضاه ، ويهوى ما يهواه !

وقال الفضيل بن عياض(٥) : استخيروا ، ولا تخيروا ، فكم من عبد تخير لنفسه أمرا ، كان هلاكه فيه •

= الحالة الاولى يكون طلب العبد هو (الأصلح) وليس الصالح فحسب ، ولذ فعله الله له . وفى الحالة الثانية يكون ما طلبه العبد هــو فى ظنه ، ولكن فى العلم الالهى ان ما قضى الله به هو (الاصلح) فالله على هـــذا النحو يقضى بالاصلح على خلقه ! .. حتى وان ظنوا خلاف ذلك .

وتستند هذه النظرية فى أســاسها على فكرة (العناية الالهيــة) فى الخلق . فقد يقضى الله بأمر على العبد ويكون ظاهره البطش ولكن باطنه الرحمة .. ومثال ذلك الأفعال التى قام بها (الخضر) فى رحلته مع موسى ــ عليه السلام ــ فهى من أقدار الله التى ظاهرها البطش ولكن حقيقتهــا الرحمة الالهية السارية فى الكون بمقتضى عنايته عز وجل لخلقه (أنظر : سورة الكهف ، آية ٥٦ وما بعدها) .

(١) فى الأصل : نفسه ! (٢) ساقطة من الاصل .

(٣) فى الأصل : الرضى . (٤) فى الأصل : فقره .

(٥) هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمى ، ولد بسمرقند، ونشأ بأبيورد وقد اعتبره الكلاباذى من أوائل الصوفية ، ووضعه السلمى على رأس الطبقة الأولى منهم .. وللفضيل بن عياض سيرة تناقلها الصوفية بعد وفاته ، كما تناقلوا عباراته الصوفية . وتوفى الفضـــيل بن عيـــاض بمكة المكرمة سنة ١٨٧ هجرية .

وقال أبو سليمان الدارانى (١) : اذا سلم القلب من الشهوات ، فهو راض !

وقال سهل بن عبد الله : خلق الله تعالى الخلق ، وجعــل حجابهــم تدبيرهم ، فاترك تدبيرك الى مولاك ووليك ، يرعاك ويحفظك .

سئل أبو الحسن النــورى عن الرضى ، فقـــال : لو كنت فى الدرك الأسفل (٢) من النار ، كنت أرضى ممن هو فى الفردوس الأعلى !!

وسئل الشبلى عن الرضى ، فقـــال : لو أن جهنم على عينى اليمين ، ما سألته أن يحولها الى الشمال !

وقال جعفر الصادق (٣) رضى الله عنه : العبودية ثلاثة ، الأمر بوعد الله ، والشغل بأمر الله ، والصبر لحكم الله ..

---

(١) هو أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الدارانى ، من أهل داران .. من كبار صوفية الاسلام ، عاش حياة الزهد والورع والاشتغال بأمور الدين والابتعاد عن الدنيا ، وكان يقول : من صارع الدنيا صرعته ! ومن أقواله أيضا : لكل شىء مهر ، ومهر الجنة ترك الدنيا بما فيها .. ويحكى انه كان فى خلوته يدعو الله ، فاشتد البرد ، فخبأ احدى يديه من البـــرد ، وبقيت الأخرى ممدودة ..فأخذ النعاس وهو على هذا الحال ، فسمع هاتفا يقول: يا أبا سليمان قـــد وضـــعنا فى يدك الممدودة ما نالك من خير الليلة ، ولو كانت الأخرى ، لوضعنا فيها أيضا !!

قال الدارانى : فآليت على نفسى الا أدعـــو الله الا ويداى خارجتان ، حرا كان الزمن أو بردا .. وتوفى أبو سليمان الدارانى سنة ٢١٥ هجرية .

(٢) ساقطة فى الأصل .

(٣) من أئمة الاسلام ، وهو من أحفـــاد على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، اعتبره الشيعة الاثنى عشرية الامام السادس فى سلسلة الأئمة العلويين ، واعتبره الصوفية أحد أئمتهم الروحيين .. وتوفى الصـــادق فى المدينة سنة ٢٢٨ هجرية .

قال أبو عثمان النيسابورى : أنا منذ أربعين سنة ، ما اقامنى الله تعالى فى حال فكرهته ، ولا نقلنى الى غيره فسخطته .. وقال أيضا: الرضى سرور القلب بمر القضاء ، وأفضـــل الرضى أن لا تســكن الى الرضى ، والحياة الطيبة فى الرضى !

وسئل الشبلى — فى حال الرضى ، هل يسأل الجنة أو يستعيذ من النــار ؟ فقال : الراضى لا يسأل الجنة ، ولا يستعيذ من النار...(١)

باب : الفتـــوة (٢)

سئل سفيان الثورى عن الفتوة ، فقال : العفو عن زلل الاخوان.. وأنشد الفقيه منصور فى معناه :

هبنى أســأت كما زعمت   فأين عاقبـــة الأخوة
واذا أسأت كما أساءت   فأين فضـــلك والمروة

.. ومن الفتوة أن يحفظ الفتى على نفسه هـــذه الخمسة أشياء ، وهى : الأمانة ، والصيانة ، والصدق ، والأخوة الصـــالحة ، وأصلاح السريرة . فمن ضيع واحدة منهن ، فقد خرج عن شرط الفتوة .

---

(١) كلمة فى الأصل غير مقروءة تماما .

(٢) عنوان الباب ساقط من الأصل ، ويبدو وأن الناسخ قد سها عنه .. والفتوة عند الصوفية — كما سنراها فى هـــذا الباب — أحـــد مكارم الأخلاق التى يتناصحون بها . وقد استفاض فى الحديث عن الفتوة ، فتى ببضاء ، الحسين بن منصور الحلاج — قتل ببغداد سنة ٣٥٩ هجرية ، وذلك فى أشعاره وعباراته الذوقية (انظـــر : كتاب الطواسين) — ولكن السلمى لم يذكر فى هذا الباب شيئا من أقواله !

وقال بعض الحكماء : من وجدت فيه ست خصال ، فاحكم له بالفتوة التامة ، وهو أن يكون شاكرا للقليل من النعمة ، صابرا على الكثير من الشدائد ، يدارى(١) الجاهل بحلمه ، ويؤدب البخيل بسخائه ، ولايطلب عوضا كما يطلبـــه أحد(٢) من النـــاس ، ولا ينقض ماكان بنساه من الاحسان من قبل .

وقال عمرو(٣) بن عبيد(٤) : لا تكمل مرؤة الرجل ، حتى تجتمع فيه ثلاث خصال ، يقطع رجائه عما فى أيدى الناس ، ويسمع الأذى فيحتمله ، ويحب للناس ما يحبه لنفسه .. وقيل لبعضهم ، ما المروءة؟ فقال : لا تذكر أحدا بسوء .

.. ومن أدب الفتوة ، اذا ورد الضيف ، يبدأ أولا بانزاله وباكرامه، ثم باحضـــار الطعام ، ثم يثلثـــه بالكلام الطيب . ألا ترى كيف بدأ ابراهيم بالطعام بعد السلام ، قال تعالى :

---

(١) أنظر الحديث النبوى : مداراة الناس صدقة ..

(٢) فى الأصل : حمـــده !

(٣) فى الأصل : عمـــر !

(٤) هو عمرو بن عبيد المعتزلى البصرى ، من ائمة المعتزلة..والمعتزلة فرقة كلامية يمثل اصحابها الاتجاه العقلى فى الفكر الاسلامى . ونشـــأت هذه الفرق الكلامية بعد توسع المسلمون شرقا وغربا ، ودخول أهل الملل الأخرى فى الاسلام .. اذ أن أصحاب الديانات الأخرى بدأوا فى مناقشـــة قضايا الاسلام ، وذهب بعض منهم الى محاولة التشكيك فى هذه القضايا. فقام علماء الكلام للدفاع عن الحقائق الايمانية بالأدلة العقلية ، والرد على شبهات الملحدين .

« فما لبث أن جاء بعجل حنيذ(١) » وهو تعجيل ما حضر(٢) .

وقال محمد بن على الترمذى(٣) : ليس من الفتوة طلب الأجر على العمل، فان طلب بالعمل أن يأخذ بدله أو أجره — فقد بان عن حقارة نفسه وخسته ! ألا ترى سحرة فرعون لـمـا جاءوا اليه قالوا «إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين(٤)» طلبوا الأجرة منه ، وكان عاقبة إبطال سعيه (٥) ..

---

(١) سورة هـــود ، آية ٦٩ .

(٢) الاشارة هنا الى قصة الملائكة الذين أرسلهم الله الى قوم لوط ، فمروا في طريقهم بسـيدنا ابراهيم ، ونزلوا ضيوفا عليــه وبشروا زوجته سارة باسحاق ويعقــوب .. (انظر ســورة هود ، آية ٦٠ وما بعــدها) .

(٣) هو أبو عبـــد الله محمـد بن على بن الحسن ، الملقب بالحكيم الترمذى .. من مشاهير الصوفية ، له نظرية خاصة فى «الولاية» وضعها فى كتابه «ختم الأولياء» . وللحكيم الترمذى مؤلفات كثيرة حفظها لنا التاريخ، فالى جانب كتابه السابق الذكر ، يوجد له مايقرب من ثلاثين مؤلفا ، تدور حول موضوعات التصوف والحديث النبوى وغير ذلك من العلوم الدينية . وقد ولد الحكيم الترمذى أوائل القرن الثالث الهجرى : وتوفى ســنة ٢٨٥ هجرية .

(٤) سورة الأعراف ، آية ١١٣ .. وفى الاصل المخطوط : أين لنــا الأجر ان كنا نحن الغالبين !

(٥) قد يبدو هذا المعنى الذى أشار اليه الترمذى غريبا علينا . ولكنه فى الحقيقة قصد الكلام عن مطالبة العبد لربه بالثواب على عمله الحسن، وهذا لا يصح مع الله عز وجل .. وقد قالت رابعة العدوية فى هذا المعنى: ما عبدته خوفا من ناره أو طمعا فى جنته ، فأكون كأجير السوء ، ان عمل طلب الأجر !

وقال أيضا : ليس من الفتـــوة تذكر الصـــنائع وترددادها على من صنعت معه • ألا ترى فرعون كيف ذكر صنعه ، ولم يكن له فتوة ، فقال امتنانا على موسى : «ألم نربك فينا وليدا • » (١) •

وقال الحسن البصرى رحمه الله : فضل الفعال على المقال مكرمة ، وفضل المقال الفعال مبغضة !

ثم أصل الفتوة فى كل الأحوال ، استواء السر والعلانية فى جميع الأفعال والأقوال ، مع ترك الافتخار بالاعمال ، وحفظ مراعات الدين ، ومتابعة السنن ، واتباع ما أمر الله به ، واجتناب ما نهى عنه •

ثم من موجبات الفتوة ، الصدق والوفاء والسخاء ، والحيـــاء وحسن الخلق ، وكرم النفس ، وملاطفة الاخوان ، ومجانبه القبائح ، واستماعها (٢) فى حق الأصدقاء ، والوفاء بالعهد ، والتباعد (٣) عن الحقد والغش ، والموالاة فى الله والمعاداة (٤) فيه ، والتوســعة على الاخوان بالمال والجاه ، وترك الامتنان عليهم بذلك ، ومحبة الأخيار ومصاحبتهم ، وأشباه ذلك • ونحن نسأل الله أن يمن علينا بالأعمـال الفاخرة ، ويوفقنا لما نسعد به فى الدين والدنيا والآخرة ، ولا يؤاخذنا بتضييع أوقاتنا ، ولا يحرمنا مرضاته انه قريب مجيب •

---

(١) سورة الشعراء ، آية ١٨ •
(٢) فى الأصل : استماعه !
(٣) فى الأصل : التباعد من •
(٤) فى الأصل : الموالات .. والمعادات •

باب : السخاء

وأما السخاء ، فقد ذكره الله فى كتابه العزيز فى قوله : «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة»(١) • ، وسئل أبو حفص النيسابورى(٢) عن ذلك ، فقال : أن تقدم حظوظ الاخوان على حظك ، فى أمر آخرتك ودنياك •

وقد مدح الله عز وجل السخاء ، فى قوله : «ويطعمون الطعام على حبه •• الآية»(٣) وذم من بخل : «سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة»(٤) •

وقال رسول الله ، ﷺ : السخاء شجرة فى الجنة ثابتة ، فلا يلج الجنة إلا سخى ، والبخل شجرة فى النار ، فلا يدخل النار إلا كل بخيل(٢) •

وقال أبو هريرة ، قال رسول الله ، ﷺ : السخى قريب من الله ، قريب من الناس ، قريب من الجنة ، بعيد من النار ، والبخيل بعيد من

---

(١) سورة الحشر ، آية ٦ .

(٢) هو أبو حفص عمرو بن سلمة الحداد النيسابورى ، من رجال الطبقة الأولى . وكان أبو حفص من أئمة التصوف فى عصره ، تتلمذ على يديه شاه بن شجاع الكرمانى ، وابو عثمان سعيد بن اسماعيل الصوفى .. وتوفى رحمه الله سنة ٢٧٠ هجرية .

(٣) سورة الانسان ، آية ٨ .

(٤) سورة آل عمران : آية ١٨٠ .

(٥) رواه الترمذى وابن حنبل بلفظ آخر ، والترمذى فى صحيحه (كتاب البر ٤٠) .

الله ، بعيد من الجنة ، قريب من النار ، وجاهل سخي أحب الى الله من عابد بخيل(١) • وقال ﷺ : لا يدخل الجنة منان(٢) •

روت عائشة رضى الله عنهـا ، أن النبى ﷺ قال : الجنـة دار الأسخياء(٣) •

قال الله تعالى : «هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين»(٤) • فقال : بماذا أكرم أضيافه ؟ فقال : خدمهم بنفسه !

وقال ﷺ : من كان يؤمن بالله واليـوم الآخر ، فليحسن منزل(٥) ضيفه(٦) • وقالت عائشة : لاتزال الملائكة تصلى على أحدكم ، ما دامت مائدته منصوبة •

قال أبو العباس الزوزونى : بلغنى أن الله تعـالى قال لابراهيم

---

(١) رواه الترمذى فى جامعة والعقيلى فى الضعفاء ، وقال الترمذى انه حديث غريب .

(٢) الحديث : لايدخل الجنة نمام ، بلفظ (نما) أو : قتـات .. متفق عليـه .

(٣) رواه ابن عدى والقضاعى عن انس مرفوعا ، وذكره السيوطى فى الجـامع الصـغير ، وقال الذهبى : منكر ، وعـده ابن الجوزى من الموضوعات .

(٤) سورة الذاريات ، آية ٢٤ .

(٥) غير مقروءة فى الاصل .

(٦) أخرجه مسلم فى الصحيح والدارمى فى السنن وأحمد بن حنبـل فى مسنده ٤/٣١ ، ٥/٤١٢ .

عليه السلام : أتدرى لما اتخذتك خليلى ؟ قال : لا يارب • قال : لأنى اطلعت على سرك ، فكان العطاء منك ، أحب عندك من الأخذ •

وقال أبو عبد الله بن الحارث : من لم يكرم ضيفه ، فليس من محمد ولا من ابراهيم صلوات الله عليهما أجمعين •

وقال حاتم الطائى(١) :

أضاحك ضيفى قبل انزال رحلة فيخصب عندى والمحل جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ولكن وجه الكريم خصيب

•• قيل : علامات السخاء ثلاثة ، البذل مع الحاجة ، وخوف المكافآت واستقلال العطاء ، والحمد على النفس إغشاما لادخال السرور على قلوب الناس •

وقيل : السخاء بذل أجل ما عندك لأدنى الخلق !

وسئل بعضهم عن السخاء، فقال : المبادرة الى العطية قبل السؤال•

•• وسئل عمرو بن عبيد عن السخاء ، فقال : أن تكون بمالك متبرعا ، وعن مال غيرك متورعا •• وقال عمر بن عبد العزيز : السـخاء يطوى العيوب •• وقال عيسى بن مريم عليه السلام : أحسنوا الى جميع الناس ، فان الانسان ينبغى أن يكون محسنا الى من أساء عليه ليكون

---

(١) من اعلام العرب ، ضرب به المثل فى الكرم لسخائه الشديد . ومن امثلة كرمه ! انه ذبح حصانه — وكان عزيزا عليه — حتى يطعم ضيفا أتاه ، ولم يكن لديه طعاما ليقدمه له !

من المحسنين .. وقال على بن أبى طالب ، رضى الله عنه : السخاء ترك الامتنان عند العطاء .

وقال أحمد بن أبى الحوارى(١) : اتمام الاحسان خير من ابتدائه، لأن الابتداء هوى(٢) ، والاتمام صبر .. والصبر أشد من الهوى .

وقال أبو عثمان الحيرى : من شرط المعروف ، تعجيله وتصغيره وستره ! وكان الربيع بن خيثم(٣) يتصدق بالرغيف ، ويقول : انى لأستحى أن تكون صدقتى كسرا كسرا .

سئل أبو عبد الله : متى يحصل الانسان وصف السخاء ؟ فقال : اذا أخرج(٤) من ماله من غير مَنّ ، وأعطى للقريب والبعيد .. قال :

فانفق فان الفقر فى طلب الغنى(٥)
هو الفقر ما الذى أنت منه تجزع

(١) هو أبو الحسن أحمد بن ميمون أبى الحوارى : من اهل دمشق ، اعتبره الكلاباذى أوائل الصوفية ، ووضعه السلمى ضمن رجال الطبقة الاولى .. نشأ فى أسرة زاهدة ورعه ، وصحب الدارنى وسفيان بن عيينة، وكان الجنيد يدعوه : ريحانة الشام . وتوفى ابن أبى الحوارى سنة ٢٣٠ هجرية .

(٢) فى الأصل : صبر !

(٣) هو أول زاهد فى الكوفة ، كان عامل على بن ابى طالب على الرى وقزوين ، لكنه اعتزل جيش على عند قتاله مع معاوية ، وفضل الابتعاد عن حرب المسلمين فى موقعة الجمل وذهب الى فارس كى يشارك فى الفتوح .

(٤) فى الأصل : خرج !

(٥) فى الأصل : الغنا !

وقيل لأبى سعيد الخراز : ما غاية السخاء ؟ فقال: بذل النفس والمال والروح للخلق ، على غاية الحياء .. قال فى المعنى :

قد مات قوم ولا ماتت مكارمهم
وعاش قوم وهم فى الناس أموات

وقال على بن أبى طالب ، كرم الله وجهه : إن الله يحب السخاء ، ولو بشق تمرة .

حكى أن أعرابيا أتى (١) عمرو بن العاص ، فسأله شيئا ، فقال للغلام : أعطه خمسمائة ، فذهب الغلام ، ثم رجع فقال : أخمسمائة دينارا أم خمسمائة درهم ؟ فقال : إذ رجعت ، فاجعلها خمسمائة دينارا ! قال : فقبضها الأعرابى ، ثم جلس فغدا يبكى ، فقال له عمرو : مالك تبكى ، لعلك استقللت العطاء ؟ فقال : لا ، ولكن أبكى كيف تأكل الأرض مثلك .

وقال مطرف بن عبد الله لأصحابه : اذا كانت لكم إلىّ حاجة ، فاكتبوها فى رقعة وارفعوها إلىّ ، ولا تسألونى مواجهة ، فانى أكره(٢) ذل السؤال فى وجوهكم !

وقيل : جاء رجل الى عبد الله بن المبارك ، فقال : علىّ سبعمائة درهم من الدين ، فكتب له الوكيل ، فجرى القلم بسبعمائة دينار ، فدفع له ذلك الدين .. فقال : أردت شيئا ، فما أراد الله خلافه .

---

(١) فى الأصل : أتا !
(٢) [illegible]

وقال طلحة بن عبد الله : انا لنجود(١) بأموالنا ، فما نجد بخلا ، ولكن نتصبر .. وقال : لو أن الدنيا كلهـا لقمة واحـدة فى فم طفل (لتركها)(٢) له ..

وروى عن النبى ﷺ ، أنه قال : أشد الأعمال ثلاثة ، انصـاف الناس من نفسك ، ومواساة الأخ فى مالك ، وذكر الله تعالى فى كل حال .. وروى عن على بن أبى طالب ، كرم الله وجهه أنه قال ، قال النبى ﷺ : الصبر والحلم والسخاء ، من أخلاق الأنبيـاء ، فمن أكرمه الله بكرامة الأنبياء ، أدخل الجنة مع الأنبياء بغير حساب(٣) .

وقال عبد الله بن المبارك : سخاء النفس بالبذل ، أشد من السخاء بما فى أيدى الناس .

وحكى أن رجلا اتخذ ضيافة ، وأسرج فيها سراجا فى مجلس كل واحد ! فقيل له : لقد أسرفت ، فقال : أبصر اى سراج رأيته لغير الله فأطفئه ! فما قدر أن يطفىء منها سراجا واحدا ..
ولبعضهم :

يتأنس الضيف فى أبياتنا فرحا
فليس يعرف فينا أينا الضـيف

الضيف أملك منا عند رؤيتـه
منا بأنفسـنا فالمن للضـيف

(١) فى الأصل : لنجد !
(٢) غير مقروءة فى الأصل .
(٣) رواه البخارى ومسلم فى الصحيحين .

باب : الشفقة

سئل الجنيد عن الشفقة على الخلق ، فقال : أن تعطهم من نفسك ما يطلبون ، ولا تحملهم مالا يطيقون .. وسئل رويم :كيف شفقتك على اخوانك ؟ فقال : ما سرنى من الدنيا الا ما سرهم ، ولا ساءنى من الدنيا إلا ما ساءهم .. وقيل : سئل بعض الفتيان ، كيف محبتك لاخوانك وشفقتك عليهم ؟ فقال : أحسد عينى اذا أنظرهم(١) ،وأحسد سمعى اذا سمع كلامهم ، كيف لا يكون جوارحى كلها سمعا يسمع كلامهم ! كما قال بعضهم :

غنت فلم تبق فى جارحة الا تمنيت أنها أذن

وقال ذو النون : انى لأحسد التراب الذى يطأ(٢) عليه اخوانى كيف لا يكون خدى عوضا عنه يطئون عليه بدلا منه ! وقال فى معناه :

وأشفق أن يمشى على الارض صغيرى
فيا ليت خدى ما حييت وطاؤه

وسئل بعضهم ، كيف شفقتك على إخوانك ؟ فقال : إن سقط الذباب على خد أحدهم ، أجد له ألما فى قلبى(٣) .

---

(١) فى الأصل : انظر .
(٢) فى الأصل : يطون .
(٣) اهتم الصوفية بعلاقة المحبة للاخوان ، ونصحوا بها مريدهم ، كما نرى فى هذا الباب الخاص بالشفقة على الاخوان فى الدين .. ولكننا نرى مع ذلك شيئا من المبالغة فى هذه العبارة الأخيرة !

وقال بعضهم : الأخوة فى الدين ، التزام الشفقة والنصيحة للاخوان ظاهرا وباطنا .

وقال عبد الله بن المبارك : لا تكن خصما لنفسك على الخلق ، ولكن كن خصما للحق على نفسك .. وكان يقول : لا سرور فى الدنيا يعادل رؤية الاخوان ، ولا غم من غمها يعادل مفارقتهم (١) .

وقال أبو بكر الكتانى : إن(٢) حفظ قلب المؤمن ، أحب الى من أن أحج حجة مبرورة .

باب : حسن الخلق والتواضع

قال الله : « وانك لعلى خلق عظيم .(٣)» فمدح الله عزوجل نبيه ، ﷺ ، بحسن الخلق ..

وسئل بعضهم عن(٤) هذه الآية الشريفة ، فقال : الخلق مع الخلق، والسر مع الحق (٥) . روى أبو الدرداء ، أن النبى ﷺ قال : أول ما يوضع فى الميزان الخلق الحسن(٦) .. وقال أنس بن مالك ، سئل رسول الله ، ﷺ ، أى الأعمال أفضل ؟ قال : حسن الخلق (٧) . وقال :

---

(١) غير واضحة فى الاصل .
(٢) فى الاصل : لان .
(٣) سورة القلم ، آية ٤ .
(٤) مطموسة فى الاصل .
(٥) فى الاصل : الخلق !
(٦) رواه ابن حنبل فى المسند والترمذى فى صحيحه (كتاب البر) بلفظ : أفضل شيء فى الميزان ، الخلق الحسن .
(٧) أخرجه ابن حنبل فى مسنده ، الجزء السادس ٤٤٣ ، ٤٤٦ .

إن الرجل لينـال بحسن الخلق أعلى(١) درجة فى الجنـة ، وهو غير عابد ، وان الرجل لينـال بسوء الخلق أسفل درك فى النـار ، وهو عابد(٢) .. وقال ﷺ : ألا أخبركم بأحبكم الى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة ، قالوا : بلى يا رسول الله ! قال أحسنكم أخـلاقا (٣) الموطئون للناس أكتافاً ، الذين يألفون حسن الخلق ، جمـال فى الدنيا وكمال فى الآخرة ، وسوء الخلق يفسد العمل .

وسئلُ بعضهم عن حسن الخلق ، فقال : ايثار المحبوب ، والبشاشة فى جميع الأسباب .

وقال حارث المحاسبى : حسن الخلق هو احتمـال الأذى ، وقلة الغضب ، وبشر الوجه ، وطيب الكلام .. وقال أبو يزيد البسطامى : أقرب الخلق الى الله ، أوسعهم لخلقه خلقا ، فتواضعوا ..

وقال ﷺ : كرم المرء دينه ، ومرؤته عقله ، وحسبه خلقه(٤) .

وقل أبو العباس بن عطاء يوما لأصحابه : بم يرتفع الانسـان ؟ فقيل : بترك المن ، وبذل النفس ، وقال آخرون : بالمحاسبة والموازنة!

---

(١) فى الاصل : اعلا !

(٢) أنظر : البخارى فى الأدب ، وابن حنبل فى البر ، وسنن أبى داود فى الرقاق : وموطأ مالك (حسن الخلق) .

(٣) اخرجه البخارى فى الصحيح (فضائل الصحابة ٣٧ ــ المناقب٢٣) والترمذى فى كتاب البر ، واحمد بن حنبل فى المسند ١٩٣/٤ ، ١٩٤ .

(٤) رواه أبو يعلى وغيره عن حديث أبى هريرة به مرفوعا ، انظـر الموطأ (باب الجهاد ٣٥) ومسند ابن حنبل ٣٦٥/٣ .

فقال ابن عطاء : ما ارتفع من ارتفع ، الا بحسن الخلق ، وما باله كاملا إلا النبى ﷺ .

وقيل : أقرب الخلق من الله ، السالكون آثاره ، والمقتفون أخباره.

وقال سهل بن عبد الله : ان الله ينظر فى القلوب ، والقلوب بيده ، فاذا كان القلب متواضعا ، خصه الله تعالى بما يشاء .

وقيل : رأس مال العارف ، التودد الى الخلق ، كما روى عن النبى ﷺ : أمرت بمدارات الناس ، كما أمرت بأداء الفرائض(١) .

وقال بعضهم : أصل المروءة ، التوسعة للخليقة ، وأصل سوء الخلق ، من ضيق القلب ، قال الله تعالى : «أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه (٢)» . فمن كان على نور من الله ، كان قلبه واسعا وخلقه حسنا ، ثم قال : «فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله »(٣) . فمن كان قلبه قاسيا ، كان قلبه ضيقا وخلقه سيئا .

.. وعلامة الخلق السيىء ، أن لا يحتمل (٤) شيئا من الناس ، لسوء خلقه .. وسئل بعض الصوفية عن حسن الخلق ، فقال كف الأذى عن الناس ، واحتمال الأذى منهم .

---

(١) المراد بمداراة الناس العفو عن أخطائهم والترفق بهم ، وفى حين يدعو الاسلام لمداراة الناس الا أنه يرفض المداهنة ! (أنظر الفرق بين المداراة والمداهنة فى كتاب الفروق للحكيم الترمذى — مخطوط) .

(٢) سورة الزمر ، آية ٢٢ .

(٣) سورة الزمر ، آية ٢٢ .

(٤) فى الأصل : لا يحمل !

وحكى عن(١) الأحنف بن قيس، أنه كان له غلام أسود سيىء الصورة والخلق ، وكان يحتمله(٢) ويصبر على سوء خلقه ! فقيل له فى ذلك ، فقال : إنما أمسكه لأتعلم فيه الحلم !

وقال أبو على الروزبارى : لا يرفع أحد الا بالتواضع ، ولا يتضع أحد الا بالكبريـــاء (٣) .

وقال أبو الحسن البوشنجى (٤) : من أذل نفسه ، أعزه الله ، ومن أعزها ، أذله الله فى اعين العباد .

وقال الأحنف بن قيس : ان أدوا الداء ، اللسان البذىء والخلق الرضى .. وقال الرصدى : شرط الخدام(٥) ، التواضع والاستسلام.

.. سئل عبد الله بن المبارك عن تواضع الصوفى ، فقال : تكبره على الأغنياء !

وقال سهل بن عبد الله : ألزموا أنفسكم التواضـــع ، تسلموا من الدعوى ، من تواضع لله ، لم يتكبر على خلق الله ، قال الله تعالى : «واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين» .(٦) والتواضع سلم الشرف، ومن أخلاق الصوفيـــة ، الحلم والتواضـــع ، والســـخاء والكرم ،

---

(١) فى الاصل : من .
(٢) فى الاصل : يحمله .
(٣) فى الاصل : بالكبرا !
(٤) فى الاصل : البوسجى..وأبو الحسن البوشنجى من كبار صوفية العراق ، توفى ٣٤٨ هجرية «أنظر ترجمته فى : طبقات الصوفية للسلمى».
(٥) يقصد بالخدام ، العبيد القائمين على طاعة المولى عز وجل .
(٦) سورة الشعراء : آية ٢١٥ .. وفى الأصل المخطوط : واخفض جناحك للمؤمنين .

والاعراض عن الدنيا والزهد فيها وترك مدحها وذمها ، والتأدب بالمشايخ ، وتأديب الأصحاب ، والشفقة على عامة المسلمين ورؤية فضلهم ونقصه ، وتعظيم من مات منهم ، والنصيحة للمسلمين ، وبذل ماله ونفسه ..

باب مكارم الأخلاق

قال الله تعالى : «خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين»(١) لما نزلت هذه الآية ، قال جبريل : يا محمد ، أتيتك بمكارم الأخلاق ! قل : وما هى (٢) ؟ قال : أن تعفو عن من ظلمك ، وتعطى من حرمك ، وتصل من قطعك ، وتعرض عمن جهل عليك ،وتحن لمن أسا عليك ، فقال بذلك رسول الله ﷺ ، لكى يقتدى به فى أمته من بعده.. قال محمد بن حرب : جمع الله تعالى المروءة (٣) ... فى هذه الآية .

وروى عنه ﷺ ، لما شج رأسه وكسرت رباعتيه ، قال : رب اغفر لقومى،فانهم لايعلمون (٤). . وروى عنه ﷺ ، أنه لما دخل المدينة ، قال : يا أيها الناس ، أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام(٥) .

---

(١) سورة الاعراف ، آية ١٩٩ .. وفى الأصل المخطوط : خذ العفو وامر بالمعروف !
(٢) فى الاصل : وما هو
(٣) كلمة ساقطة فى الاصل .
(٤) من حديث النبى ﷺ لما اشتد اذى قومه له .
(٥) انظر : الأمام النووى ، الأحاديث القدسية صفحة ٦٥ .

وقال على بن أبى طالب ، كرم الله وجهه : اذا أحببت أن(١) تدعى من أهل المكارم ، فاجتنب المحارم .

حكى أن أنس بن مالك رضى الله عنه مرض ، فعاده اخوانه ، فقال لجاريته : قدمى الى اخواننا أشياء ، ولو كسرا ، فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول : مكارم الأخلاق من أعمال الجنة(٢) ..

وسئل أبو القاسم الحايم (٣) عن الكرم ، فقال : قول لطيف يتبعه فقر شريف .. وقيل للأسكندر ، ما سرك فى ملكك ؟ فقال : قدوتى أن أكافىء من أحسن الى بأكثر من احسانه ؟!

وقال الجنيد : الكريم لا يحوجك الى وسيلة ... قيل لأبى عمرو المكى (٤) : ما الكرم ؟ فقال : التغافل عن زلل الاخوان...وقال أبوعثمان:

---

(١) فى الأصل : انك !

(٢) أنظر الأحاديث الواردة فى مكارم الأخلاق ، فى صحيح البخارى (مناقب الأنصار ٣٣ ، الأدب ٣٩) وفى صحيح مسلم فضائل الصحابة ١٣٣) .

(٣) هكذا ورد الاسم فى المخطوطة ، ولم نجد ترجمة له فى كتاب الطبقات .

(٤) هو أبو عبد الله عمرو بن عثمان بن كرب بن غصص المكى ، من كبار الصوفية . كان المكى عالما بالحديث النبوى ، راويا له ، كما كان عالما بعلم الاصول..صحب الجنيد وابا سعيد الخراز وغيرهما من المشايخ القدماء . ومن أقواله : «كل ما توهمه عقلك أو رسخ فى مجارى فكرك أو خطر فى معارضات قلبك ، من حسن أو بهاء أو أنس او جمال او جمال او خيال ، فهو سبحانه وتعالى بعيد عن ذلك» .. «العلم قائد والخوف سائق والنفس حرون بين ذلك جموع خداعة مراوغه ، فاحذرها وراعها بسياسة العلم وسقها بتهديد الخوف ، تنال ماتريد ولاتسيطر عليك » .

وتوفى ابن عثمان المكى فى بغداد سنة ٢٩١ هجرية .

الكريم يعتذر ، واللئيم لا يزال يفتخر !

وسئل عبد الله بن خفيف(١) : متى يصح للانسان الكرم ؟ فقال: اذا احتمل أذى الخلق ، ولم يكافئهم بسوء .

وقال أبو حفص النيسابورى : الكرم بيع(٢) الدنيا لمن احتاج اليها، والاقبال على الله لاحتياجك اليه . وقال ذو النـون المصرى : ليس بكريم من أذل سائله ، وليس بكريم من أعطى على المسئلة ، وليس بكريم من أحوجك الى شفيع .

وقال على بن أبى طالب ، الله وجهـه : الكريم تتبين عند الفاقـة طعمته ، وعند الانفاق نعمته .. وقال سفيان الثورى : ليس من أخلاق الكرام ، التوانى عن قضاء حوائج الاخوان ، وأنشد لبعضهم يقول :

كم قتيل لشهوة أف منهـا لم ينل منها الا خلاف الجميل

شهوات للانسـان تكسبه الذل وتلقيه فى البـلاء الطويل

(١) هو أبو عبد الله محمد بن خفيف بن اسفكشـاذ الضبى : شـيخ شيراز . كانت أمه نيسابورية ، وكان شيخ المشايخ فى وقته ، صحب رويم البغدادى ، وطاهر المقدسى ، وأبا العباس بن عطاء ، وعثمان الدمشقى.. وكان ابن خفيف عالما بعلوم الظاهر والباطن ، وأسند الحديث النبوى . ومن عباراته الذوقية : ليس أضر على المريد من مسامحة النفس فى ركوب الرخص وقبول التأويلات. ودخل عليه رجل من الصوفيـة فقال له : بى وسوسة من الشيطان ! فقال ابن خفيف : عهدى بالصوفية انهم يسخرون من الشيطان ، والآن الشيطان يسخر منهم .

وتوفى ابن خفيف سنة ٣٧١ هجرية .

(٢) الكلمة غير مقروءة فى الأصل .

وقال بشر بن الحارث : خصلتان يقسيان القلب ، كثرة الأكل والنوم .. وقال سرى السقطى(١) : ما شبع عبد شبعة ، الا فارق من عقله شيئا لا يعود أبدا !

وقال الجنيد : من فتح على نفسه باب سيئة ، فتح الله عليه سبعين بابا من الخذلان من حيث لا يشعر .. وقال الفضيل بن عياض: من رضى من الله بما قسم له ، فأرض الله واسعة ، ومن لم يرض ، لم يبارك له فيه ، ولم تسعه الأرض .

وروى أبو هريرة ، أن النبى ﷺ قال : لئن يحزم أحدكم حزمة

---

(١) هو أبو الحسن سرى بن المغلس السقطى ، خال أبو القاسم الجنيد ، وأمام البغداديين وشيخهم فى وقته . وضعه السلمى ضمن رجال الطبقة الأولى ، قائلا بأنه ينتسب اليه أكثر رجال الطبقة الثانية .. وتوفى السقطى سنة ٢٥١ هجرية ، وترجم له غالبية المؤرخين .. ويروى عنه، أنه كان جالسا فى مجلس الجنيد ، الذى أخذ يتحدث عن «المحبة» : موردا أقوال الصوفية فى ذلك .. ويبدو أن السرى السقطى لم يقتنع بما قاله الجنيد ، فالتفت اليه وأمره أن يرفع كم الرداء الذى يرتديه ! وفعل الجنيد ما أمره به ، فرأى ذراع خاله ناحلا مهزولا يكاد يلتصق الجلد فيه بالعظام. وبينما الجنيد مرتاعا لما رآه ، قال السقطى : يا بنى ، المحبة أدناها ما رأيت .. ثم أنشد :

ولما ادعيت الحب قالت كذبتنى
ألست أرى العظام منك كواسيا

وما الحب حتى يلصق الجلد بالحشا
وتخرس حتى لا تجيب المناديا

وتهزل حتى لا يبقى لك الهوى
سوى مقلة تبكى بها وتناجيا

وما زال كذلك حتى أبكى الحاضرين ..

من الحطب ، فحملها على ظهره ، فيبيعها ، خير له من أن يســأل رجلا يعطيه أو يمنعه (١) ..

وأنشدوا فى المعنى :

لنقل الصخر من قلل الجبــال أحب الى من منن الرجال

يقول الناس كسب فيــه عار فقلت العار فى ذل الســؤال

قيل : من اكتفى عن السؤال ، فقد أعطى خير النوال..هان عليك من احتاج اليك ! وقال بعضهم : اذا أردت أن تعيش حرا ، فلا تلزم مؤنة نفسك غيرها .. وقيل : استغنى عن من شئت تكن نظيره ، واسأل من شئت تكن أسيره ، وأحسن إلى من شئت تكن أميره !

وقال بعضهم :

ومن يرغب الى الناس يكن للناس مملوكا

اذا ما أنت خففت عن النـــــاس حبوكا

وان ثقلت كرهوكا ولا موكا وســـــبوكا !!

روى عمر بن الحصين أن النبى ﷺ قال : من انقطــع الى الله ، كفــاه مؤونة(٢) رزقه من حيث لا يحتسب ، ومن انقطـــع الى الدنيــا ، وكله الله اليها(٣) .. وقال صلى الله عليــه وسلم : لو يعلم

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الزكاة ، والترمذى فى الصحيح (كتاب الزكاه أيضا) ، ومالك فى الموطأ .

(٢) فى الأصل : مونة !

(٣) أخرجه ابن ماجه بلفظ قريب فى سننه (كتاب التجارات ٣ ، المقدمة ٢٣ ، الزهد ٣) .

الناس مافى المنانة ، ما سأل أحد شيئا(١) •• وروى عن أنس بن مالك ، أن النبى ﷺ قال : من أصبح وهمه الدنيا ، فليس من الله (٢) •

وقال الجنيد : من كان مشغولا بالله عن نفسه ، فهو الذى يبدأ بالعطاء قبل السؤال•• وقيل : الطيب من الرزق ، ما يتناوله الانسان فى وقت الاضطرار مقدار استغناء المهجة ، لأداء الفرائض •

وقال ابن عباس فى قوله : «مما آتاه الله(٣)» زهده فى الدنيا ، ورغبته فى الاخرة •• سئل أبو سعيد(٤) عن الفتوة ، فقال : اليأس من الخلق ،وترك السؤال بالتفويض ، وكتمان الفقر ، واظهار الغنى والتعفف •

وقال ابراهيم بن شيبان : كان أبو عبد الله المغربى لا يأكل الا من بقول الأرض مدة ثلاثين سنة ، ولا يطلب الأسباب الا عند وجود الفاقات ، فان النبى ﷺ قال : جوعوا أنفسكم تقوون على عدوكم وصلاتكم ، ومن قنع بالقليل استراح من الهم والتعب ، وما نقص من القناعة زاد فى الطمع •

وقال ذو النون المصرى : الحيلة فيما كفيته فضول ، والتعريض فيما لا يعنيك جهل ! وروى فى بعض الأخبار : من طعن فى الاكتساب،

---

(١) روى فى الصحيحين بلفظ آخر •

(٢) أخرجه الترمذى فى الصحيح، وابن ماجه فى السنن (كتاب الزهد)•

(٣) سورة الطلاق ، آية ٧ •

(٤) هو أبوسعيد أحمد بن محمد بن اياد بن درهم بن الاعرابى العنزى=

طعن فى السنة ، ومن طعن فى التوكل ، فقد طعن فى الايمان)(١) ..

وسئل الجنيد عن (المكاسب) فقال : المساء والنقاط النوى !

وروى فى الخبر : أطيب ما أكله العبد ، من كسب يده .

وروى عمار ، قال : أجر على كرم الله وجهه ، نفسه الى(٢) يهودى ، على أن ينزح(٣) له كل دلو بتمرة ، فلما جمع ملء كفه ، ذهب به الى فاطمة فقال لها : أطعمى أضيافك ! فما بال الرجل لايصير(٤) الا باكتساب أفضل من المسئلة .. وقد روى فى الخبر أنه ما من رجل سأل رجلا لحاجة ، فقضاها أو لم يقضها ، الا طار ماء وجهه أربعين يوما .

حكى عن ابراهيم بن شيبان قال : لقيت ستة آلاف شيخ من هذه الطائفة(٥) ، كلهم قالوا : المسئلة حرام والتعريض شبهة .

وقال عبد السلام بن سلامة : شكوت الى ابراهيم (٦) فزعى من الفقر ، مع قلة انصاف الاخوان ، فقال لى : يا ابن سلامة ، عليك

= بصرى الأصل ، سكن بمكة ، وكان شيخ الحرم فى وقته . ترك أبو سعيد ابن الأعرابى للصوفية مؤلفات كثيرة ، وتحدث عن معظم الموضوعات الصوفية ، وروى الحديث وكان ثقة .. وتوفى بمكة سنة ٣٤١ هجرية .

(١) تنسب هذه العبارة للجنيد ، وقد مرت علينا فى باب التوكل ، حيث نسبها المؤلف للجنيد !

(٢) فى الاصل : من !

(٣) فى الاصل : ينزع .

(٤) يصعب قراءتها فى الاصل .

(٥) يقصد بالطائفة الصوفية .

(٦) يقصد ابراهيم بن أدهم .

بالقنوع فإن من قنع استغنى ، وإياك أن تمدن عينيك الى ما فى أيدى الناس ، فقد ذهب الذين كانوا يتواصون فى الله • انتهى .

•• وحكم الفقير (١) أن يجلس تحت الرضى ، ينتظر المورود من السماء ، فعيشته هنى ، وباله رضى ، ويعلم أن الكسب والحركة لا تزيد فى رزق العبد ، وتركهما لا ينقص منه شيئا ، لأن الأرزاق بمشيئة المعبود ، لا بمشيئة العباد •

باب الوصايا

قيل ، سأل رجل النبى ﷺ ، فقال : أوصنى ! فقال : لا تغضب، فقال زدنى ! قال تستحى من الله كما تستحى من صالح جيرانك(٢) •
وقال رجل لسلمان الفارسى : أوصنى ، فقال : لا تخالط الناس ••

وحكى عن الجنيد أنه أوصى بعض أصحابه فقال : يابنى ، الزم العلم ، ولو ورد عليك من الاحوال ما ورد ، لا يكون (٣) مصحوبك الا العلم ، لان الله تعالى يقول : والراسخون فى العلم يقولون آمنا به (٤) •

وقال أبو عبيدة بن خفيف : لما فارقت رويم بن عبد الله ، قلت له أوصنى ! فقال : يا بنى ما هو الا بذل الروح والنفس — يعنى

---

(١) يريد بالفقير : الصوفى ..
(٢) متفق عليه .
(٣) فى الاصل : ان يكون !
(٤) سورة آل عمران : آية ٧ .

التصوف — فان قدرت على ذلك ، والا فلا تشتغل بترهات الصوفية (١) •

قيل لحاتم الأصم : أوصنى ! فقال : اجعل روحك عندك عارية (٢) ، ونفسك رهينة ، والموت نازل بك لا محالة •

•• قيل أوصى محمد بن على الباقر (٣) بعض أصحابه ، فقال : لا تدع النفس فى هواها ، فان هواها أذاها •• وقال محمد بن سليمان: لقيت غيلان المجنون فى بعض الخراب بالكوفة ، فقلت له : متى يسقط العبد من خطرات الغفلة ؟ فقال : اذا كان بما أمر (٤) به فاعلا، وعما نهى عنه غافلا ، وبمحاسبة نفسه عاقلا ! فقلت متى يصل العبد الى هذه المنزلة ؟ قال : اذا قام بأمره ، وأخلص سريرته ، ونجى من زلته ! فقلت : زدنى موعظة أتزود بها منك ؟ فقال : كن من الله عز وجل على حذر ومن دنياك على خطر ، ومن الموت على وجل ، ولقدوم الآخرة على عجل •

---

(١) فى هذه الوصية ، يحذر رويم البغدادى من الخوض فى البدع والضلالات التى كانت دائما تشوه صورة التصوف الصحيح ، ويحذر أيضا من أخذ التصوف على ظاهرة ، كما يفعل ذلك الكثير من أصحاب الفرق الصوفية اليوم ، وذلك أن التصوف بذل للنفس والروح ، وليس ترهات وتهاويل جهل وحلقات رقص وانشاد !

(٢) أى أمانةأئتمنه الله تعالى عليها .

(٣) هو الامام الخامس عند الشيعة الامامية ، كنى بالباقر لانه «بقر العلم بقرا» كما تنبأ الرسول ﷺ لاحد ذريته ، فكان محمد بن على زين العابدين هو هذا الرجل .. وتوفى الامام محمد الباقر سنة ١١٤ هجرية .

(٤) فى الصل : ما مر !

وحكى أن القاسم بن عثمان الحريرى (١) ، قال لاصحابه : أوصيكم بخمسة ، ان ظلمتم فلا تظلموا ، وان مدحتم فلا تفرحوا ، وان ذممتم فلا تجزعوا ، وان كذبتم فلا تغضبوا ، وان خانوكم فلا تخونوا .

قال الحسن الحداد ، قلت لمحمد بن عبد الله فى وقت مفارقتى ايماه : أوصنى ! فقال : ارض من الدنيا برغيفين ، ومن صحبة الناس بفقيرين ، ولا يفوتك هذين !

وقال يونس بن عبد الله : سمعت ثلاث كلمات من ثلاثة رجال ، لا أبالى بأن أسمع بعدهم الا القرآن ! سمعت من بورق العجلى يقول : ما تكلمت بشىء قط فى غضب ، ندمت عليه فى رضا ، وسمعت من محمد بن سيرين (٢) : ما حسدت أحدا على شىء قط ، لانه لا حسد الا فى دين أو فى دنيا ، فأما رجل أعطاه الله خيرا ، فما بالى أحسده عليه ، وأما الدنيا ، فلا ينبغى أن أحسد احدا على دنيا ! وسمعت حسان بن أبى شيبان يقول : ليس شيئا أهون على من الورع ! قيل : وكيف ذلك ؟ قال : اذا رابك شىء(٣) ، فدعه ..

جاء رجل الى ابراهيم بن أدهم فقال له : أوصنى ! قال : أوصيك بخمس كلمات ، اذا أشتغل الناس بالدنيا ، ، فاشتغل أنت بالآخرة ، واذا

---

(١) هو القاسم بن عثمان ، الملقب بالجوعى . كان أول من وضع اسس الزهد الجوعى فى الشام ، وكان يقول : الزهد فى الدنيا ، هو الزهد فى الجوف ! ويشرح رأيه بأنه «بقدر ما تملك من بطنك ، بقدر ما تملك من الزهد » .. وتوفى القاسم بن عثمان سنة ٢٠٠ هجرية .

(٢) هو أبو بكر محمد بن سيرين البصرى الانصارى . ولد سنة ٣٣ واستقر البصرة وكان تابعيا مشهورا ، ويعد ابن سيرين حجة فى (تفسير الاحلام) وله مؤلفات فى ذلك ، كما يعد من أوائل الزهاد .

(٣) فى الأصل : شيئا ! !

اشتغل الناس بتزيين الظاهر ، فأشتغل أنت بتزيين الباطن، واذا أشتغل الناس بعمارة القصور ، فأشتغل أنت بعمارة القبور ، واذا أشتغل الناس بعيوب الناس ، فأشتغل أنت بعيوب نفسك ، واذا أشتغل الناس بخدمة المخلوقين ، فأشتغل أنت بخدمة الخالق !

وقال الجراح بن عبد الله : ما الطريق (١) الى الله أفضل من طلب العلم، فانى عدلت مرة عن الطريق — يعنى طريق العلم — فتهت أربعين صباحا فى الظلمات ! •

وكان يحكى جعفر المرتعش : سمعت أبا الحسن يوصى بعض أصحابه ويقول : من رأيته يدعى مع الله حالة تخرجه عن الشريعة ، فلا تقربنه ، ومن رأيته يحب الرياسة والتعظيم (٢) ، فلا تقربنه ، ومن رأيته يسكن الى أبناء جنسه ، فلا تقربنه ! ومن رأيته يشكو حاله الى أبناء (٣) الدنيا ، فلا تراغقه ، ومن رأيته مستغنيا بعلمه ، فلا تأمن جهله ! ومن رأيته مدعيا حالة باطنة ليس له عليها دليل ظاهر ، فاتهمه فى ذلك ، ومن رأيته راض عن نفسه ، ساكنا الى عمله ، فافهم أنه محروم فى الدارين ، ومن رأيته من المريدين يميل الى القصائد والرفاهية ، فلا توافقه على عمله ، ومن تراه عند السماع (٤) من

---

(١) فى الاصل : ما الطريق .

(٢) اى يحب سلوك مسلك الصوفية ، كى يحترمه الناس ويعظموه !

(٣) كتبت هذه الكلمة بخط دقيق بين السطرين !

(٤) السماع مجلس يجتمع فيه الصوفية للذكر والانشاد ، وهو عندهم استجمام من تعب الوقت وترويح عن النفس . ويشترط الصوفية فى حضور هذا المجلس الصوفى ، أن يكون المريد من أهل التقوى وليس من أهل الهوى ، حتى لا يلهو وتغلب عليه شهوته ويضيع عليه طريقه .. يقول ابو عبد الله الساجى : السماع ما اثار فكرة ، واكتسب عبرة ، وما سوى ذلك فتنة . =

الفقراء غير حاضر (١) ، فأعلم أنه منع بركات ذلك بتشويش سره وتدبير همه ! ومن رأيته مطمئنا الى أصحابه وأصدقائه ، مذعنا اليهم ،معتمدا عليهم ، فاعلم أنه مخطىء ..

أوصى بعض المشايخ زائره ، فقال : لا تحب الدنيا ، وعد الفقر من الله نعمة ، والمنع عطاء ، والوحدة أنسا ، والذل عزا ، والطاعة حرفة (٢) والحياة موتا ، والتوكل معاشا ، والله لكل شىء عدة .

حكى أبو موسى الديبلى (٣) قال : أتى أبا يزيد البسطامى رجل، فقال : أوصنى ! فقال : أنظر الى السماء ، فنظر الرجل الى السماء ، فقال : من خلقها ؟ ! فقال : الله خلقها ! قال أبو يزيد : فان خالقها مطلع عليك ، ومعك حيثما كنت ، فاحذره ..

وقال أبو سليمان الدارانى : ما اشغلك عن الله من أهل وولد ومال، فهو عليك شؤم .. وقال : لا تميلوا الى غير الله بعد معرفته ، فانه غيور .. وقال الأحنف بن قيس لابنه : يا بنى اصحب الصالحين (٤) كى تعد منهم ، وجانب الأرذلين كى لا تعد منهم .

= ويقوم الهجويرى فى « كشف المحجوب » ان فريقا من العلماء أجمع على اباحة السماع بالادوات الموسيقية اذا لم يكن فى ذلك سبيل الى الارتداد والسير بالعقل فى طريق الضلال ..

(١) أى غائبا عن شعوره ، غير منتبه لما يفعله من شدة الهياج والواجد ، كما نرى اليوم فى حلقات الذكر .

(٢) فى الاصل : حرقة !

(٣) هو أبو موسى عبد الرحيم بن يحيى الاسود ، الملقب بالديبلى ، نسبة الى ديبل بضم الباء — وهى قصبة بلاد الهند .

(٤) فى الاصل : الصلحين .

وأوصى سهل بن عبد الله رجلا ، فقال : وقتك أعز الاشياء فاحفظه، واشغله بأعز الأشياء ! .

وأوصى أبو على الروذبارى(١) بعض أصحابه ، فقال : لا تفارق هذه الخلال الأربع ، صدق القول ، وصدق العمل ، وصدق المودة ، وحفظ الأمانــة ..

وقال الشيروانى : قلت لابراهيم الخواص ، أوصنى ! قــال : عليك بملازمة الفقراء ، فان الخير فيهم.. وقال أبو حفص النيسابورى، يوصى بعض اخوانه : احفظ بابا واحدا ، يفتح لك الأبواب ، والــزم سدا واحدا ، تخضع لك الرقاب ! .

وقال أبو الربيع العابد : قلت لداود الطائى (٢) ، أوصنى فقال :

---

(١) هــو أبو على أحمد بن محمد بن القاسم بن منصور بن شهريار مهر ذادار بن فرغدد بن كسرى ، من أهل بغداد ، سكن مصر وصــــار شيخها . وكان الروذبارى عالما فقيها عارفا بعلم التصوف حافظا الحديث النبوى ، أعتبره الكلاباذى ضمن من نشروا علوم الصوفية كتبا ورسائل .. وقال عنه القشيرى فى رسالته : هو أظرف المشايخ وأعلمهم بالطريقة ، ويذكر أنه سئل عن التصوف فقال « هذا مذهب كله جد فلا تخلطوه بشىء من الهزل » وقيل له ان فلانا يزعم انه وصل فلم تعد تؤثر فيه الاحـــوال والحلال والحرام ! فقال : نعم قد وصل ، ولكن الى سقر !!
وتوفى الروذبارى سنة ٣٢٢ هجرية .

(٢) هو الزاهد الصوفى ، داود الطائى الكوفى ، أخذ علمه من الامام أبى حنيفة ، فلما أتم تعلمه قال له ابو حنيفة : بقى العمل به .. ! وعاش داود الطائى حياةالزهد والتقشف ــ وسلك سبيل النساك فلميتزوج، معللا ذلك بقوله : قاسيت شهوتهن سنة عند ادراكى ، ثم ذهبت شــهوتهن من قلبى ! وتوفى داود سنة ١٦٥ هجرية .

صم عن الدنيا ، وأجعل فطرك الموت ، وفر من الدنيا ومن أبنائها ، كما تفر من الأسد !

وقال ابراهيم بن شيبان : أوصى ابراهيم بن أدهم بثلاثة ، فقال أقللوا من معرفة الناس ، ولا تتقربوا الى من لا تعرفون ، وأفكروا فيمن تعرفون .

باب : شرائط التصوف

شرائط التصوف ، ما كان عليه المشايخ المتقدمين من الزهد فى الدنيا ، والاشتغال بالذكر والعبادة ، والغنى (١) عن الناس ، والقناعة والرضى بالقليل من المطعوم والمشروب والملبوس ، ورعاية الفقراء ، وترك الشهوات ، والمجاهدة والورع وقلة النوم والكلام، وجمع الهمة، والمراقبة ، والوحشة من الخلق ، والغربة ، ولقاء المشايخ ، والأكل عند الحاجة ، والكلام عند الضرورة ، والنوم على الغلبة ، والجلوس فى المساجد ، ولبس المرقعة والرث (٢) .. فما كان على ذلك فالكتاب العزيز ناطق به (٣) ورسول الله ﷺ شاهد بقبوله .

فينبغى للعاقل فى زماننا هذا ، أن يعرف شيئا من أصول الصوفية ، وطريقة أهل الصدق منهم ، حتى يميز بين المتشبهين بهم ، والمتلبسين لباسهم ، والمتسمين بسماتهم ، ولا يكن كأحدهم .. فان الصوفية أمان الله فى أرضه وأخدان أسراره وعلمه ، وصفوته من خلقه .

---

(١) فى الاصل : الغنا !

(٢) راجع معانى اصطلاحات (قلة النوم والاكل ، جمع الهمة ، الوحشة من الخلق ، لبس المرقعة والرث) فى الاستدراك .

(٣) الواو ساقطة فى الاصل .

وهم ممدوحون بلسان النبوة ، لما روت عائشة — رضى الله عنها — أن النبى ﷺ — قال : من سره أن ينظر ، فلينتظر الى أشعث أغبر شاحب مشمر ، لم يضع لبنة على لبنة ، ولا قصبة على قصبة ، علم فشمر ليوم المضمار وغدا السباق ، والغاية الجنة أو النار (١) .

فهكذا الصوفية ، وهكذا أفعالهم ، فمن أنكر هذا المذهب ، فلقلة معرفته ، وقلة الاهتداء لحقائقه ، لان الجياد قليل ، وقل من يعرفهم ، الا من يكون من جنسهم ..

وقال عز وجل «واذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم(٢)» . الذى يدعى هذا المذهب ، ويعطل الجوارح من العبودية والخدمة والطاعة ، ويعطل(٣) القلب من الذكر والارادة وجمع الهمة (٤) ومعرفة الواردات وإخلاص النية ، ولا يؤدى حقه ولا يعرف حقائقه ، وهو يدعى ما ليس له ، ليقربة ذلك من الناس ، ويعله حرفة يأكل بها ويأخذ الوقت الطيب ، فاذا بدت له الحقائق من الفقر والفاقة والذل والخدمة المكروهات ، وطولب بالمجاهدات ، فر وذهب وخسر وافتضح ، وصار بترك هذه الأوصاف خارجا عن دعواه ، وهو متصنع ، يلبس المرقعات(٥) والتصنعات بلا خشية ، ولا مراقبة(٦) ، ولا ورع ، ولا

---

(١) رواه بلفظ آخر : البخارى فى الصحيح (يتاب الجهاد ٧٠)مسلم (كتاب البر ١٨ ، الجنة ٤٨) والترمذى فى المناقب ٥٤ ، ٦٥ .

(٢) سورة الاحقاف ، آية : ١١ .

(٣) فى الاصل : تعطيل !

(٤) فى الاصل : همة .

(٥) لبس المرقعة ، هو علامة على سلوك طريق الصوفية !

(٦) المراقبة لفظ من الفاظ الصوفية يقصدون به تعلق العبد بالله وملاحظة اوامره ونواهيه ، وذلك مستفاد من معنى « الاحسان » الذى هو : أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فهو يراك .

مجاهدة (١) ، ولا ذكر ، ولا معاملة (٢) ، فانه انما يخسر ويسخر من نفسه ، فالتصوف يلعنه والدعاوى تمجه ، والشيطان يقربه ، والملائكة تبعده ، والله عز وجل يمقته ، وأهل تصوف الحقيقة خصماؤه ..

فمن لم يكن متعلما مستعملا ، أو ضعيف الإرادة مبتدئا ، وفى الوجد متسابقا ، وفى المعرفة محققا ، وادعى التصوف ، كان مرتهنا بدعواه ، متبعا لهواه ، محجوبا عن معناه ..

« فالتقوى أخلاقه ، والحفظ ظاهره ، والتعلق بالأصل ، وان كل باطن من العلم لا يشهد له ظاهر فهو ضلالة . واذا لم يكن يعرف ويقتدى والصلاح فى طريقه ، والاقتصاد فى سعيه ، والصدق فى جميع أحواله ، فانه (٣) لا يصلح له التصوف اذا لم يكن فيه هذه الأوصاف .

ومن كان عنده التصوف ، التمتع بالأكل والشرب ، وموافقة (٤) العامة فى الحركات ، ومرافقة النفوس فى المحرمات وسماع المكروهات ، فانه عن التصوف بعيد ، وكانت (٥) دعواه حجابا لمعناه .

---

(١) يقصد مجاهدة « النفس الامارة بالسوء » حتى ترتقى الى مرتبة النفس اللوامة ثم النفس الراضية المرضية (راجع « مراتب النفوس » فى أحياء علوم الدين لحجة الاسلام أبى حامد الغزالى) .

(٢) المعاملة يقصد بها الصوفية العبادة بمعناها الظاهر والباطن ، كما يقصدون بها الصلة بين العبد وربه . وأنظر العنوان الذى اختاره أبو طالب المكى لكتابه : قوت القلوب فى معاملة المحبوب .

(٣) فى الأصل : انما .

(٤) فى الأصل : المرافقة .

(٥) فى الأصل : كان .

فمن لا يشهد بتصوفه ، آثار المتقدمين من مشايخ التصوف ، كان من المدعين .. جعلنا الله واياكم من المهتدين بآثار السابقين من العلماء والعارفين ، ومن المتصوفة الواجدين ..

انه خير المعتمدين المنعمين .

* * *

وقد تمت هذه المقدمة المباركة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، والحمد لله وحده ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله الطاهرين ، وصحابته أجمعين ..

ووافق الفراغ من نسخها ، عصر يوم الخميس المبارك ، سادس شهر رمضان المعظم قدره ، سنة اثنين وثمانين وألف من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم.

فهـــارس التحقيق

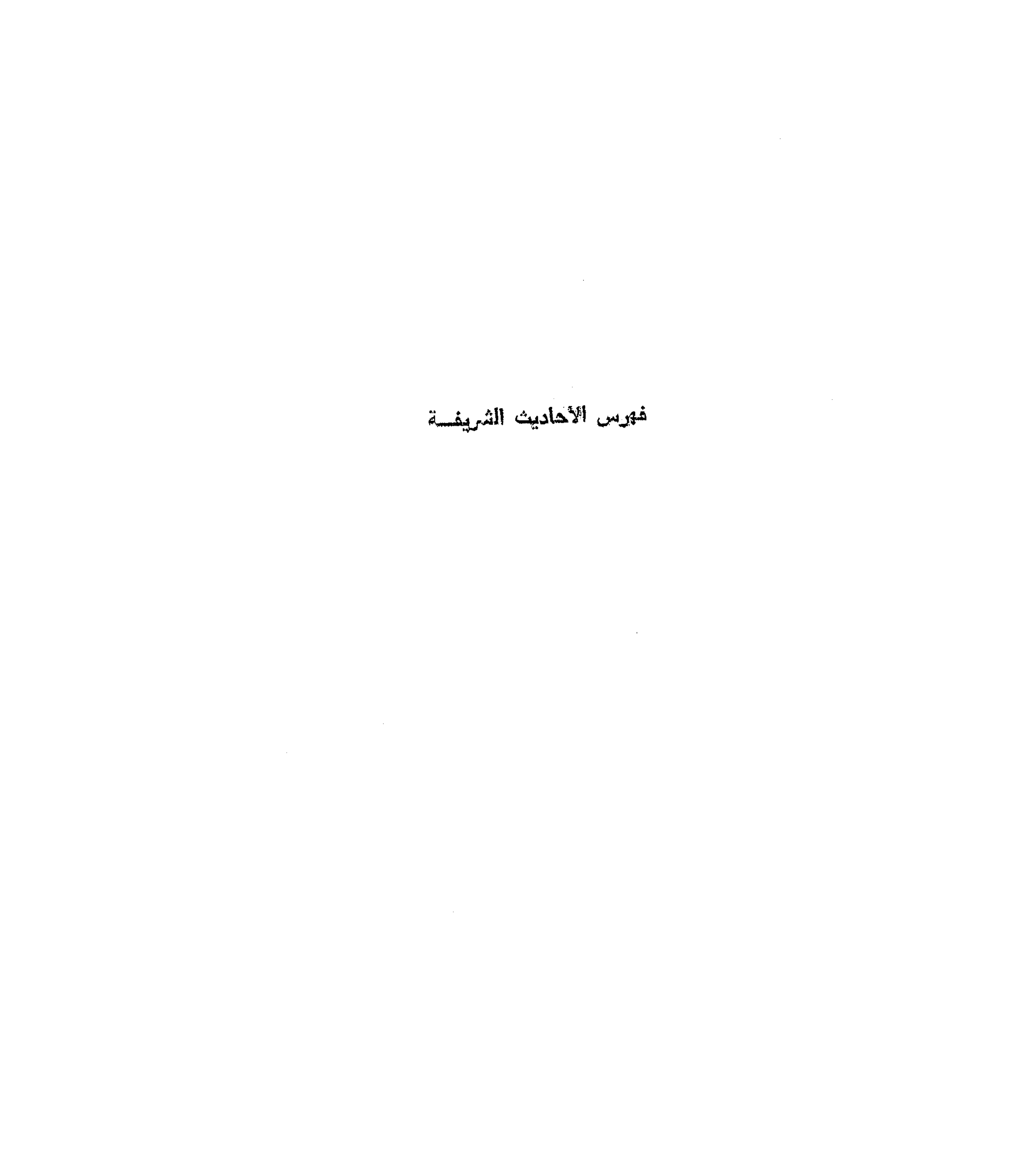
فهرس الآيات القرآنيـــــة

(م)

(هـ)

(و)

(ى)



فهرس الأحاديث الشريفة

(ل)

(م)

(ى)

فهرس المصطلحات الصوفية

(أ)

(ت)

(ج)

(ح)

(ذ)

(ر)

فهرس المواضـــع والبلدان

(أ)

(*) راعينا ترتيب أسماء الأعلام ترتيبا هجائيا على حسب الاسم الذى اشتهر به كل واحد من هؤلاء الاعلام .

(ع)

(غ)

أهم مراجع التحقيق
ومصادر الترجمة

- ابن الجوزى (أبو الفرج) : صفة الصفوة
- ابن حجر العسقلانى : لسان الميزان
- ابن العماد الاصبهانى : شذرات الذهب فى اخبار من ذهب
- ابن كثير : البداية والنهاية
- ابن منظور : لسان العرب
- أبو نعيم : حلية الاولياء وطبقات الاصفياء
- ابو طالب المكى : قوت القلوب
- بدوى (دكتور عبد الرحمن) : شطحات الصوفية
- بروكلمان (كارل) : تاريخ الادب العربى ، الترجمة العربية (دار المعارف)
- الحكيم الترمذى : كتاب الفروق (مخطوط)
- السبكى : طبقات الشافعية الكبرى
- السلمى (أبو عبد الرحمن) : طبقات الصوفية ومعانيها
- الشرقاوى (دكتور حسن) : الحكومة الباطنية
- : الفاظ الصوفية ومعانيها
- الصفدى : الوافى بالوفيات
- الطوسى (السراج) : اللمع فى التصوف
- عبد الحليم محمود (دكتور) : ذو النون المصرى
- : بشر بن الحارث

- الغــــزالى : أحياء علوم الدين
- فؤاد ســـزكين : تاريخ التراث العربى
- القاشانى: اصطلاحات الصوفية
- القشـــيرى : الرسالة القشيرية
- الكلاباذى : التعرف لمذهب أهل التصوف
- المنـــاوى : الكواكب الدرية فى مناقب السادة الصوفية (مخطوط)

أثناء طبع الكتاب ، عرفنا أن هناك بعض التحقيقات لمؤلفات السلمى ، التي أشرنا في قائمة مؤلفات التي مازالت مخطوطة ، وهذه التحقيقات هي :

— تحقيق (حقائق التفسير) قام به طالب عراقي في رسالة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الاسكندرية .

— تحقيق (جوامع آداب الصوفية) وقامت بنشره الجامعة العربية في القدس ، ضمن مجموعة من الكتب المحققة قامت هذه الجامعة بنشرها خلال عام ١٩٨٦ .

***

احتوت الفقرة الاولى من باب (شرائط التصوف) على جملة اصطلاحات صوفية ، حشدها السلمى فى هذه الفقرة حشدا ! وقد راينا أن نوضح هنا ما استغلق منها : —

— **الغنى عن الناس** : هو أن يكتفى الصوفى بالله عزوجل، ويرى كل ما سواه مفتقر اليه .. فلا يكون للصوفى آنذاك عند الناس حاجة أو مطالب، بل يكل كل أموره الى خالقه، فيصبح فى غنى عن الناس .

— **جمع الهمة** : (الهمة) لانها تحفز يشير الصوفية كثيرا الى المريد وتقويه على الرياضات الروحية وأركان العبادات . والمراد بجمع الهمة هو تركيز ارادة الصوفى وصدق سلوكه الى الله ، وفى هذا المعنى يقول الصوفية : المريد هو العارج بكليته الى مطلوبه (الله) فلا يلتفت ، حتى يصل !

— **الوحشة من الخلق** : حال صوفى يقابل (الانس بالله) اذ يرى الصوفية أن من يأنس الى الحق ، يستوحش من الخلق !

— **الغربة** : يعتبر الصوفى نفسه فى هذا العالم غريبا — فقد هبطت النفس من العالم العلوى ، لتصبح اسيرة

الجسد ومطالبه الحسية التى لا تترك للنفس فرصة للارتقاء الى عالمها الاول .. ومن هنا يرى الصوفى نفسه فى العالم الارضى غريبا ، غربة لا تنتهى الا بالرجوع الى مولاه عزوجل !

— الكلام عند الضرورة: يرى الصوفية ان الكلام شهوة ! ولذا يتواصـون بكسر شـهوة الكلام بالصمت .. والصمت عندهم يتضمن الصبر ، والتأمل ، وعدم الاغترار بالعلم .

— لبس المرقعة والرث هو نوع من الاحتراز من عجب النفس وغرورها ، بأن يفضل الصوفى — فى بداية الطريق — عـدم التأنق ! ويطرح عنه حب الظهور والشهرة والرياسة .. وذلك حتى لا تستقوى نفسـه ، وتحدثه بالاغترار .

الموضوع	الصفحة

المقدمة فى التصوف